
روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
حلقة الرعب
١٠

مقدمة ..

منتصف الليل ...

النوم قد جافاني .. والسعال يعابث شعيباتي الهوائية .. وفناجين القهوة العديدة تحتشد في خلايا مخي داعية إياي كي أكتب قصة أخرى ..

هل تعرفون من أنا ... ؟

تعرفون ...

لكني أرى بينكم وجوهًا جديدة بريئة لم يسعفني الحظ بالجلوس معها من قبل ، لهذا أقول ـ لهذه الوجوه فحسب ـ أن إسمي هو (رفعت إسماعيل) .. شيخ فانٍ يملك مئات القصص المفزعة التي كان طرفًا فيها بشكل أو بآخر ...

ماذا أحكي لكم اليوم ... ؟ ...

في هذه المرة لن تكون حكايتي كالتي تعودتموها من قبل ، سأحكي لكم قصصًا عدة قصصتها على بعض الأصدقاء في أمسية شتاء رهيبة .. وكان محورها جميعًا هو الخوف .. الخوف الموروث غير المبرر الذي نحمله بين ضلوعنا ولا نجد له منطقًا ولا نهاية ...

إن الطقس بارد حقًا ...

إقتربوا يا رفاق من مجلسنا وخففوا أصواتكم .. هل لكم في قدح من (الكاكاو) أو حفنة من (أبو فروة) ؟.. هل تحبون أن تقتربوا أكثر من المدفأة ؟..

إفعلوا ما يحلو لكم ..

لأن الليلة ليلة غير عادية .. واللقاء غير مسبوق ...

إنها حلقة الرعب ...

حلقة الرعب ..

ـ أنا أمقت الشمس والزهور !

قلتها مشعلاً سيجارتي مديرًا ظهري لهم ، لمدة ثوان لم يصدقوا أنني قلت ذلك ، ثم أنهم انفجروا ضاحكين في هستيريا ..

سمعت صوت (عادل) الضاحك :

ـ لن تتغير أبدًا يا (رفعت) .. دائمًا نفس التعليقات والآراء الشاذة التي تتعمدها لمجرد الغرابة ..

وصوت (سهام) الساخر :

ـ معنى هذا أنك تحب الظلام والوحل ؟!

وصوت (هويدا) الحنقى :

ـ أنا أفهم ما يعنيه .. إنه يعشق الغموض والخيال ، لكن الشمس والزهور أشياء واضحة مألوفة إلى حد لا يطاق ..

وصوت د. (سامي) يقول برزانة :

ـ إن الشخصيات المكتئبة المتجهمة هي نوع من فطر (عيش الغراب) الذي لا ينمو إلا حيث الظلام والرطوبة .. ، السوداوية لا تنتعش إلا في المطر والرعود ..

ثم شعرت بعيونهم تتلاقى على ظهري .. ويسألون :

ـ وما رأيك أنت يا د. (رفعت) ؟..

* * *

ما رأيي أنا ؟..

لا أدرى حقًا ....

من أكون أنا حتى أعرف كنه نفسى ...؟

كنت أتأمل الليل البهيم فى الخارج ملصقًا أنفى بزجاج النافذة البارد ، وقطرات المطر تنهال على الدروب فتتناثر قطرات الوحل هنا وهناك ، على حين تتكسر المرئيات عبر خيوط الماء المنزلقة فوق زجاج النافذة ببطء .. ببطء ..

ثمة كشاف سيارة هنا أو هناك يمزق الظلام ويدوى صوت الأمواج الممزقة تحت عجلاتها ، على حين تتكاثف قطرات بخار الماء الضبابية أمام عينى ، والقشعريرة تغزو عمودى الفقرى إذ أتصور البرد بالخارج وأقارنه بدفء الداخل ..

صوت (أم كلثوم) ينبعث من المذياع باعثًا فى قلوبنا مشاعر حزينة تكاد عيوننا تندى لها (كان هذا الخميس يوافق حفل (أم كلثوم) الشهرى ، وكان احتشاد الأسرة حول المذياع طقسًا مقدسًا فى تلك الأيام) ..

وللحظة تتوهج الغرفة باللون الفضى الباهر .. ثم .. برووووم !..

يدوى هزيم الرعد معلنًا تصادم النجوم ..

ـ يا لها من أمسية !

قالها (عادل) وهو يقف خلفى يرنو إلى ما أرنو إليه .. ثم استطرد ..

ـ أعتقد أنه من الحكمة أن نبقى جميعًا هنا حتى تهدأ (النوّة) ..

ـ هى آخر (نوّات) العام ..

قال (عادل) فى خبث وهو يربت على مؤخرة رأسى :

ـ يا لك من نحس !.. إنها أسوأ لحظة ممكنة يغادر فيها رجل (القاهرة) ليزور خطيبته فى (الإسكندرية) ..

ـ إلا فى سبيل الحب ما أنا فاعل .. !

وهنا سمعنا صوت مدام (ثريا) زوجة د. (سامى) تدعونا فى حماس إلى العشاء ، من ثم فارقنا موقفنا عند النافذة الموصدة واتجهنا إلى مقعدين وثيرين فى قاعة الجلوس المريحة ..

جميلة هى فيلا الدكتور (سامى) وأثاثها ينم عن ذوق سليم .. وكانت ربة الدار حريصة على استخدام المساحات الشاسعة الخالية من الأثاث مع استعمال لونين فحسب هما الأزرق والأبيض ، والإفراط فى توزيع نباتات الظل .. كل هذا كان مريحًا للعين إلى حد لا يوصف ..

وكانت هناك مدفأة (كيروسين) تتوهج باعثة الدفء العادى والمعنوى فى عروقنا ، أما الذى زاد الدفء إلى حد لا يمكن التعبير عنه فهو جبل الساندوتشات الذى جلبته لنا ومعه عربة الشاى ... عليها من أقداح أنيقة ..

هل تفهم هذه اللحظات ؟.. حين يتجمل الوجود وتشعر فى روحك برضا قاتل عن الآخرين وعن نفسك ...؟.. حين تتمنى أن تظل فى هذا الزمان والمكان حتى تموت ؟ ..

لا وقت للتفلسف لأن هؤلاء الزملاء سينسفون الساندوتشات نسفًا ـ كالمحرومين ـ والجبل يتناقص .. تعال نر ما تحويه .. لحمًا بريًا .. جبنًا .. لا بأس .. لا بأس ..

شرعت أزدرد في جشع حين دنا (عادل) من أذني وهمس :
ـ ارحم قليلًا ..!.. تأكد أولًا من أن (هويدا) تأكل ...!
ـ لكنها تملك مثلي فمًا ويدين ...
ـ إنها اللياقة أيها الهمجي ..!.. اللياقة !
حملت ساندوتشًا من البيض (لا أحبه أبدًا) واتجهت إلى (هويدا) وألقيته في طبقها وقلت لها بفم مليء بالطعام :
ـ كُلي هذا ..! ..
ثم عدت لمقعدي غارقًا في نظرات الحنق التي يصوبها لي (عادل) ..
لماذا يرمقني بهذا الشكل ؟.. لن أفهمه أبدًا ..
شرعنا نأكل في صمت النهم إلا من صوت المضغ المنتظم ..
بعين شبه وقحة أتأمل الجالسين حولي .. تلك المجموعة التي وحدتها الصداقة وقسوة الطبيعة .. ، تعال أعرفك بهم .. هيا !.. لا تخجل !..
أنت تعرفني جيدًا فلا داعي لأن أصدع رأسك بكلماتي التي حفظتها عن ظهر قلب .. أنا هو أنا دون تفاصيل ..
أما هذه الفتاة ـ نصف الحسناء ـ فهي (هويدا) خطيبتي .. وجوارها (سهام) شقيقتها و (عادل) زوج الأخيرة ، وهي مجموعة متلاحمة لابد أنك تعرفها إذا كنت قد قرأت مغامرتي مع آكل البشر أو لعنة الفرعون ..
أما هذا الملتحي ذو النظارة السميكة فهو (شكري الأشموني) ..

وهو موظف على المعاش ويمارس أغرب هواية يمكن لإنسان أن يمارسها .. تصوروا أنه ـ هذا المعتوه ـ يهوى كتابة قصص الرعب ؟!!..
ثم أنت تعرف هذا الأصلع ذا النظارة دون شك .. فكر قليلًا ..!.. نعم ..! هو بعينه د. (محمد شاهين) أستاذ (الأنثروبولوجي) الذي وحكتي معه حكاية جاري آكل البشر ، وهو ـ كما قلت لك ـ إنسان بريء إلى حد لا يوصف حتى أنك لو وصفت له صراعك مع أسدين وحشيهما في غرفة نومك أمس لقضى حياته يصف شجاعتك للناس ، وظل يدخل غرفة نومه في هلع كل ليلة خشية أن يجد أسدين هو الآخر ..!..
أما مضيفنا وامرأته ـ د . (سامي) وحرمه ـ فمن أكثر الناس رقيًا وتحضرًا وثقافة ، وربما لم يكونا قد رزقا بأطفال فإن (السعار الاجتماعي) ـ ولا أجد لفظة أخف وطأة ـ كان يدفعهما إلى تصرفات غير عادية مثل دعوتنا إلى العشاء .. تخيل هذا !!..
كان د. (سامي) أستاذًا للأمراض النفسية لكنه لم يدخل عالم النفس من باب كلية الطب .. بل من باب كلية الآداب ، لهذا كان يؤمن بأساليب التحليل النفسي ويعلق صورة (فرويد) (*) المرعبة في غرفة مكتبه .. كان أديبًا أكثر منه طبيبًا ..
مشكلته الوحيدة هي أنه لا يفتح فاه إلا ليعلمك شيئًا جديدًا ، وقد يكون هذا محتملًا بعض الوقت .. أغلب الوقت .. لكنه ـ بالقطع ـ غير محتمل طيلة الوقت ..

(*) سيجموند فرويد : أبو التحليل النفسي .

كان د. (محمد شاهين) متواجدا في (الاسكندرية) وهو - بالصدفة - صديق قديم لمضيفتنا .. ثم .. أنت تعرف كيف تتم هذه الأمور .. فلان يعرف فلانا .. وعلان صديق علانه .. من ثم تكون الدعوة جماعية .. وها نحن أولاء مجتمعون في هذه الأمسية نقضي وقتا ممتعا .. لولا الأحوال الجوية السيئة التي جعلت من المتعذر عودتنا لديارنا ..

والواقع أن حرم د. (سامي) كانت اجتماعية حقيقة لا تصنعا ، تمقت الأكسجين وتعشق ثاني أوكسيد الكربون .. وكانت سعيدة فخورا بكل هؤلاء الأوغاد المزدحمين في دارها يأكلون طعامها ويحتسون شرابها .. لكن (هويدا) كانت عصبية قلقة لأنها الآنسة الوحيدة الموجودة هنا .. وأمها العجوز وحدها في الدار مع حفيدها إبن (سهام) و (عادل) .. . لهذا قربت مضيفتنا جهاز الهاتف منها كي تخبر أمها أنها ستعود متأخرة بعض الشيء ، وتطمئنها على أن (سهام) معها وزوجها و ...... هنا ......

- لكني خائفة ......

- من أي شيء ؟....

قالت (هويدا) وهي ترتجف مقفلة - لا شعوريا - ياقة قميصها :

- من كل شيء .. البرد .. الظلام .. الأمطار ..

ردد (شكري) عبارتها في رصانة وهو يلوك بقايا الساندوتش الأخير ، وبدا الشرود على وجهه :

- البرد .. الظلام .. الأمطار ..

ثم رفع عينيه تجاهنا .. واستطرد بنفس الشرود :

- مفردات الرعب الأبدية ...

أشعلت سيجارة .. وقربت مطفأة السجائر مني .. وقلت :

- وما في ذلك ؟.. أي جديد في كل هذا ؟..

رد (شكري) وهو يشعل سيجارة بدوره ويسحب المطفأة من أمامي :

- إن لدينا كل ما يلزم لقصة رعب جيدة .. البرد .. الظلام .. الأمطار .. وربما المكان الواحد حيث يجتمع مجموعة من الأشخاص يتواصون الشر ....

- نسيت القمر ...

- وعواء الذئاب .. لابد من وجود عواء ذئاب ..!

قال (عادل) وقد بدأ الحديث يروق له :

- خاصة إذا ما تخيلنا أن هذه الفيللا تطل على المقابر ..!

صاحت (سهام) في هلع وقد توترت أعصابها :

- (عادل) !.. هل جننت ..؟

- لا أمزح يا ملاكي .. أمزح .. أحاول أن أكون ظريفا لا أكثر ..!

- وقد فشلت ....!

خفض (عادل) رأسه في شيء من الحرج على حين واصل (شكري) الكلام عابثاً بلحيته كعادته :

- ألا تحسون متعة ما في كل هذا ؟..

تبادلنا النظرات لوهلة .. ثم تساءلت (هويدا) فى أدب :

ـ عم تتحدث ؟

تأمل طرف السيجارة المشتعل هنيهة .. وغمغم :

ـ متعة الرعب .. ألا تشعرون بها ..؟

ـ هل تمزح ..؟

قالتها وقد تقلص وجهها فى إعلان صريح عن سماجته ... إلا أن د. (سامى) تدخل بطريقته الرقيقة المتطفلة مزيفا كلام ضيفه :

ـ إنه يعنى ما قال يا آنسة (هويدا) .. إن هناك لذة حقيقية فى الرعب يعرفها الجميع ، ولهذا يدفع الناس مالا كى يدخلوا دور السينما ليرتجفوا فى الظلام مع أفلام (دراكيولا) و (فرانكنشتاين) ... ولهذا يدخلون بيت الأشباح فى مدينة الملاهى ...

سألت (سهام) وهى تضع ساقا فوق ساق :

ـ وما تفسير ذلك ؟

ـ هناك تفسيرات عدة .. قيل أن الرعب الذى ترينه فى السينما هو رعب (مروض) .. وفى أعتى لحظات الفزع تقولين لنفسك إن كل هذا وهم .. كله خيال .. وأنك بعد انتهاء الفيلم ستعودين لدارك سالمة .. ، ولهذا تمارسين فى استمتاع هذا التلذذ الماسوشى ...

حركت شفتيها فى تعثر محاولة نطق الكلمة :

ـ ما .... ماسوشى ؟..

ـ ماسوشى .. أى لذة التعذب .. لذة الشعور بالألم ، وهى موجودة لدينا جميعا بقدر متفاوت .. لكنها دائما هنالك .. والدليل هو تجدد أفلام الرعب ...

خفقت ثقافة تهفى ونظرت نحو (شكرى) متسائلا :

ـ وهل كتابة قصص الرعب مجزية يا أستاذ (شكرى) ...؟

ـ يا له من سؤال !

ـ لست مأمور ضرائب .. فلا تخش شيئا ..

لعقا بدوره ثقافة شفته .. وأجاب فى شىء من المراوغة :

ـ إنه سؤال لا تتوقع إجابة له .. فالقول أنها غير مجزية يعنى أنك فاشل أو غير موهوب ، وأنا لن أقول هذا عن نفسى أبدا ..

ـ إذن هى مجزية ...؟

ـ لا تحاول انتزاع الكلمات من حلقى .. ثم إن (أدب الرعب) فى مصر) مجرد رضيع يحبو وليس له أية جذور عتيقة فى تراثنا اللهم إلا قصص (النداهة) و (الغولة) و (المزيرة) .. لهذا أتحرك بحذر فى الظلام ..

ـ وما جدوى أن يحاول الكاتب إفزاع قرائه ؟

ـ لأنهم يحبون ذلك !

قالها فى عصبية وقد بدأ يشعر أننى أحاول استفزازه عمدا (ولم يكن مخطئا فى التوقع) .. ، وهنا تدخل د. (محمد شاهين) بصوته العميق :

ـ ثم إن هناك كتابا عالميين مثل (إدجار آلان بو) و (برام ستوكر) و (مارى شيلى) كتبوا قصصا مفزعة ولم يتهمهم أحد بأنهم ليسوا أنبياء ..

قال د. (سامى) فى سرور :

ـ هذا يؤكد ما قلناه آنفا .. إن الناس تحب أن تخاف .. ، ولكن

ليكن ذلك خوفًا مقتنا محدودًا .. . والآن تأملوا جلستنا هذه .. نحن جالسون في الدفء والأمان في حين تعربد العواصف والأنواء في الخارج .. ، أليس هذا مثيرًا ..؟ أليس هذا فاتنًا ؟.. كل هذا الرعب بالخارج لكننا هنا في مأمن ولن يضيرنا شيء .. . عندئذ نشعر باللذة ونتجه نحو زجاج النافذة ـ كما فعل د . (رفعت) منذ دقائق ـ كي نرمق الدروب المظلمة ونتخيل ما إذا كان سيحدث لو لم تكن هنا ؟!..

قال (عادل) وهو يصب مزيدًا من الشاي لنفسه :

ـ تأكيدًا على كلامك .. كنا نطلب من جدتنا أن تحكي لنا قصص الجان ثم نتوسل إليها أن تتوقف .. وبعد ثوان نعود لنرجوها دامعين أن تواصل السرد !

وابتسم إبتسامة غامضة وقال :

ـ وكما قلت أنت : (الرعب المروض) .. أحب أن (أتخيل) ما سيحدث لو صادفني مصاص دماء على سلم داري .. لكني لا أحب أبدًا أن يحدث ذلك !!

ـ هذا هو بيت القصيد ..

ساد الصمت لبرهة .. ثم قالت (هويدا) في مرح :

ـ من الغريب أن يكون هنا حشد ممن لهم باع لا بأس به في عالم الرعب ..

وأشارت نحوي إشارة ذات معنى :

ـ (رفعت إسماعيل) خطيبي العزيز الذي تطارده المصائب حيثما ذهب ..

وأشارت نحو (شكري) .. وابتسمت مستطردة :

ـ وكاتب قصص رعب .. ربما الوحيد في بلادنا .. و ...

والتفتت في إتجاه د. (سامي) .. وهمست :

ـ .. وأستاذ في علم النفس يفهم بواعث الرعب وجذوره ..

أضفت أنا مشيرًا إلى د. (محمد شاهين) :

ـ .. وأستاذ في (الأنثروبولوجي) يعرف أبعاد الخوف في الحضارة الإنسانية ..

قال (عادل) نافرًا على صدره :

ـ وأنا ؟.. لست بائع فجل أبدًا وإن لدي ـ كرجل أمن ـ ما يقال في هذا الصدد ..

قالت (سهام) وهي تربت على ركبته :

ـ حقًا قلت .. أما أنا فإن لي باعًا لا بأس به في الخوف من الفئران وبتنتني ابنتي لن أظل صامتة !..

نهضت (هويدا) في مرح كطفلة تلهو .. وصاحت ضامة كفيها :

ـ فليقل كل منا ما يثير فزعه أكثر من غيره !!

يالها من فكرة !.. إن هذه الفتاة مخبولة تمامًا ..!.. هذا الظلام وذاك الطقس اللعين ثم تقترح هذه اللعبة ؟.. . لماذا تخليت عنك يا (ماجي) ؟.. ما كنت مقترحة شيئًا كهذا قط حتى لو طلبت أنا ..

قلت في برود حقيقي :

ـ يا صغيرتي .. لقد سئمنا جميعًا ألعاب حفلات الكلية هذه !

شد (عادل) مصمصًا في قسوة .. وغضب :

- (رفعت) !.. إنك تفسد كل شيء وتحيله إلى جهد ثقيل ممل ..
ألم آن لك أن تتحمس ولو مرة واحدة في حياتك ؟!
- بلى .. سأتحمس .
وجلست في تعاسة لآخذ دوري في هذه المهزلة ..
وبدأت الأصوات تتوالى :
- أخاف الفقر ..
- أخاف المرض ..
- أخاف الفئران ..
- أخاف اللصوص ..
- أخاف ...
- لحظة يا سادة ..
قالها (شكري) رافعًا كفه وقد بدا عليه الملل .. ثم استطرد :
- كلنا نخاف هذه الأشياء .. وكلنا نعرف أن الآخرين يخافونها .
المعضلة الحقيقية هي الفزع غير المبرر .. الفزع الذي لا ندري منطقًا له لكنه يكبلنا بقيوده ..
(الفوبيا) .. هذه هي الكلمة المناسبة ..
قالها د. (سامي) وقد وجد من واجبه أن يعلمنا مصطلحًا جديدًا :
- نعم .. نعم .. (الفوبيا) .. هناك مخاوف عديدة في حياة كل منا لا ندري لها مصدرًا ولا تفسيرًا لكنها قائمة ..
- يقال أن مصدرها خبرات دفينة في العقل الباطن منذ الطفولة لا نذكرها لكنها تصحو عند اللزوم .. مثلًا .. لماذا نخاف الظلام ؟..

هل هي تلك الخبرة القاسية الأولى حين وجدنا أنفسنا وحيدين عاجزين في الظلام بينما أمنا غافية ؟!..
بتؤدة قال د. (محمد شاهين) وهو يفرك يديه :
- إذا سمحت لي .. هناك أيضًا نظرية (الوجدان الجمعي) .. فحين كان ظلام الليل ينسدل على الإنسان البدائي كان هذا يعني هجوم الذيبة والوحوش . وبمرور الزمن لم يعد الخطر قائمًا لكن الخوف ظل حيًا في فصوص عقلنا .. . ونفس الشيء ينطبق على خوف المرتفعات (أكروفوبيا) والأماكن المغلقة (كلوستروفوبيا) ..
قلت وأنا أشعل سيجارة أخرى أمام نظرات (هويدا) المتوعدة :
- قرأت أن كابوس السقوط الشهير حين يحلم الواحد منا أنه يسقط في هاوية بلا قرار ثم يصحو فجأة غارقًا في العرق .. هذا الكابوس هو إحياء لذكرى نوم الإنسان البدائي فوق غصون الأشجار حين تتخلى قبضته عن الغصن أثناء نومه .. فيهوي ..
ابتسم د. (سامي) في غموض وقال :
- تلاحظ أن كابوس (السقوط) ينتهي دائمًا قبل أن تلمس الأرض ..
- صحيح .. ولكن ما معنى هذا ؟
- إنه إنذار .. مجرد إنذار وليس فيلمًا سينمائيًا له نهاية ..
البريق الفضي .. ثم .. بروووووم ؟!..
وثبت (هويدا) في صدر شقيقتها ترتجف .. في حين وقف (عادل) متصلبًا وبدت مخايل التوتر على وجوه الرجال .. . لماذا يصرّ هؤلاء الحمقى على كهربة الجو بهذه الأحاديث المسمومة ؟..
لماذا لا يتحدثون عن شيء مبهج كالفيضانات والزلازل والمجاعات ؟!..



قرأت أن كابوس السقوط الشهير حين يحلم الواحد منا أنه يسقط في هاوية بلا قرار ثم يصحو فجأة غارقًا في العرق ..

- إن الحديث عن الخوف .. مخيف !

قالتها زوجة د. (سامي) وهي تجمع الأقداح . فنهضت المرأتان تساعدانها على حين د. (سامي) يغمغم وهو يعود لمقعده :

- لكنه يعيننا على فهم أنفسنا أكثر ..

قال (شكري) مصرًا على لعبته السخيفة :

- والآن .. ليقل كل منكم ما يخشاه أكثر من غيره ..

قلت وأنا أطفئ السيجارة :

- لو سمحتم لي بالبدء .. أعتقد أن (ألفرد هتشكوك) قد تحدث عن ثلاثة كوابيس رئيسة في تحفه الثلاث : (نفوس معقدة) وناقش فيها الخوف من الأماكن الغريبة .. (جنون) وناقش فيها الخوف من الأشخاص الودودين أكثر من اللازم .. (دوار) وناقش فيها خوف المرتفعات ..

هز رأسه في فتور بمعنى أن ما أقوله سخيف وغير مفيد .. ثم نظر نحو (سهام) و (هويدا) وزوجة الدكتور .. وسألهن :

- السيدات أولا .. ماذا يفزع مدام (سهام) غير الفئران ؟

نظرت للسقف وهي تمسك الصينية .. وتساءلت :

- فزعا غير مبرر ؟!

- بالتأكيد ..

قالت في شرود بعد ثوان من التفكير :

- إنني أخاف المرآة .. أخاف من صورتي فيها وما قد تفعله حين أدير ظهري لها ...!

تبادلنا النظرات .. ثم قال (شكرى) فى رضا :

- لا بأس .. إن المرايا تلعب دورًا لا بأس به فى التراث الإنسانى .. والخوف والتطير منها معروفان من قدم ...

قالت (هويدا) وهى ترتجف كعادتها :

- أما أنا فأخاف الصور المعلقة التى تتابعنى عيناها حيثما ذهبت ..

- هى خدعة بصرية قديمة .. وكل صورة يمكنها أن تتابعك إذا تعمد الرسام وضع المقلة فى مركز العين ، وكل رسام إعلانات يعرف كيف يعطى هذا التأثير .. وأنت يا مدام (ثريا) ..؟

ابتسمت زوجة د. (سامى) وهزت كتفيها .. وفكرت قليلًا :

- دعنى أفكر .. ما الذى يثير رعبى ؟.. نعم .. أنا أخاف كثيرًا مما يحدث على شاشة التلفزيون بعد انتهاء الإرسال حين ننام جميعًا ..!

- خوف غير مألوف .. لكنه يعكس الرعب الكامن فينا جميعًا من المجهول ..

ثم إنه نظر إلى د. (محمد شاهين) متسائلًا .. فهز هذا الأخير رأسه فى تواضع بمعنى أنه لم يستعد للإجابة بعد ... ثم غمغم :

- لا أدرى حقًا .. لكننى أخاف خوف الحيوانات !

- تعنى تخاف الحيوانات ؟

- كلا .. أخاف خوفها .. حين يتوتر قطى الأليف أو يبدأ كلب فى النباح دون سبب يكاد قلبى يقف هلعًا ..

قلت وقد أثارت هذه النقطة ذكرياتى :

- إن ثقة الإنسان فى غريزة الحيوان تجعله متأكدًا أن الحيوان يشعر بما لا نراه نحن ، وهذا الخوف أثبت نجاحه كمقياس فى الزلازل والفيضانات وحرائق الغابات ، ولن أنسى ما أنسى توتر الجمل حين خرج حارس الكهف الرهيب يبحث عنى .. ولا فرار الكلاب من طريق (هويدا) ليلة أن طاردها حارس المومياء ..

وأنت يا د. (سامى) ..؟

قال د. (سامى) فى كياسة :

- الكابوس الخاص بى هو : أننا نسافر كثيرًا تاركين (الفلا) خالية .. لو أن كاميرا تصوير التقطت ما يحدث فيها فى تلك الآونة .. فماذا سنرى على الفيلم عند عودتنا ؟!!

وابتلع ريقه فى رعب .. وأضاف :

- وأخاف الأضواء الخافتة وأفضل عليها الظلام الدامس ..!

قلت أنا وقد تذكرت كوخ (ميدوسا) :

- أوافقك تمامًا ..

ثم سألت (شكرى) عما يثير هلعه .. فقال على الفور :

- الكابوس الشهير .. أن تستعين بشخص على خطر يتهددك فيتضح لك أنه جزء من الخطر .. ، كلنا نعرف قصصًا كهذه .. الحمال الذى يسير فى غابة يعيش بها رجال لا وجوه لهم .. يجد رجلًا يدير له ظهره فيهرع مستنجدًا به كى يحميه فى أثناء اجتياز الغابة ، عندئذ يلتفت له الرجل فى بطء فيكتشف الحمال أن الرجل بلا وجه ...!...

الرعب

ثم لوت ضحكة (سهام) الغاضبة

- (ديكاميرون) !

قلتها في سخرية .. وبالطبع لم يفهم أحد عما تحدثت سوى د. (سامي) من ثم قال الأول مومئًا على كلامي

- هو كذلك .. مثل الـ (ديكاميرون) * .. لقد تخيل الإيطالي (بوكاتشيو) أن الطاعون اجتاح بلدا ، وأن رجالا ونساء اختبئوا عشرة أيام حتى يرحل الوباء .. وشرع كل منهم يحكي قصة لتزجية ساعات الفراغ .. على أن قصصهم كانت تدور - غالبا - حول المجون والخيانات الزوجية .. أما (الديكاميرون) المصري فسيدور حول الخوف

- يا لها من فكرة !

- فلنبدأ .. وفي نهاية الأمسية سنختار أفضل قصة ونمنحها مكافأة

وسألت عبلة وعبث بلحيته وهو يعود بمقعده مستطردًا

- .. مكافأة خاصة جدًا

- .. وما هي ؟

نظر لي في شرود

ثم ابتسم

* * *

---

* يعتبر كثير من نقاد الأدب أن (الديكاميرون) هو شهادة الميلاد لفن القصة القصيرة

القصة الأولى

انعكاس .. !

تحكيها : (سهام)

قالت (سهام) وهي تخفض صوت [illegible]

[illegible] الأنس [illegible] معروف [illegible] الأول [illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible] التي [illegible] على قطع [illegible]

[illegible] الأنيقة بعروض [illegible]

[illegible] بتحويلها إلى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وصقيلا وبجال ممتازة

[illegible]

[illegible]

جنيهات

كان الإغراء قويًا وانا لست [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الرجال لا [illegible] هذه الأسيدة

[illegible]

[illegible]

[illegible] شيئا [illegible] وصف المرأة في

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بلا [illegible] ولا عيوب في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بهذا الشيء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حتى تمكنت من [illegible]

[illegible]

كان ذلك الشيء وريقة صغيرة برمها لحجم بشدة حول نفسها حتى غدت أقرب إلى المسمار . وهكذا استطاع أن يدسها في الثقب ببطء وحذر فتحت الوريقة لكنها كانت مهترئة تماما وتمزقت بين أناملي قبل أن أتمكن من فتح جزء صغير منها . من ثم كورتها ورميت بها أرضا وعدت أواصل عملي

كنت أرى انعكاس وجهي في المرآة بزاوية عيني . وأعتقد أنه كان واقعا في مجال ما يسميه الأطباء بـ (البقعة العمياء) التي ترى فيها الشيء لكنك لا تميزه فقط أشعر ببقعة وردية هي وجهي حولها هالة سوداء هي شعري ..

ولكن ...

لا أدري اللحظة حين بدأ انعكاس وجهي في المرآة يلتفت للناحية الأخرى ! أنا لست مخبولة هذا هو ما شعرت به . رفعت وجهي نحو المرآة سريعا فلم أر سوى وجهي المرتعب يرمقني في حيرة

أخرجت لساني فأخرج وجهي لسانه . قطبت فقطب وجهي . لوحت بيدي اليمنى فلوح الانعكاس بيده اليسرى

لا مشكلة هنالك

هي مجرد مرآة بريئة أخرى ..

لكن ما سر هذا الإحساس العصبي الذي ينتابني ؟

* * *

حين جاء (عادل) بعد انتهاء عمله كان واضحا جدًا ومباشرا في رأيه الذي أبداه فيما يتعلق بهذه المرآة . وبالطبع قال إنني مدللة وعابثة ولا أتحمل المسئولية وأنه - بالتأكيد - كان يتمنى لو كان متزوجا من واحدة أخرى لا تبدد ميزانية البيت في شراء المرايا

- لكنها مرآة جميلة

- وكذلك حمامات السباحة كلها جميلة لكننا لا نملك حمام سباحة في الصالون !

وبعصبية فك ربطة عنقه ودلف إلى الحمام تاركا إياي واقفة في الصالة لا أدري ما أفعل ولا ما أقول . وهنا استدرت - عفوا - تجاه المرآة فلمحت شيئا عجيبا

كان صورتي في المرآة كانت ترمق ظهري بحدة طيلة الوقت ، وحين التفت لها نجحت - بالكاد - في استعادة مظهرها البريء ! . وعادت كما كانت مجرد انعكاس لي

اقتربت منها وشرعت أتأملها

بالطبع كان معنى هذا أنها تتأملني هي الأخرى

كانت - ككل صور المرايا - تشبهني تماما لكنني (ولا أدري إن كنت واهمة أم لا) لمحت نوعا من القسوة في شفتيها الرفيعتين بل إن ابتسامة ساخرة تلاعبت على ثغرها ! . أسمعكم تضحكون تقولون إنني رأيت انعكاسا لهواجسي وحالتي النفسية وأن من كان يضحك بقسوة هو أنا وليس الانعكاس . لكني أقسم لكم إنني لم أكن أبتسم أنا وأثق أن هذه الصورة كانت تختلف عني اختلافا طفيفا

في هذه اللحظة دوى صوت باب الحمام ينفتح .. وبرز (عاصم) [illegible]
ممسكاً بمنشفته و يتجه نحو غرفة النوم .. ويستفسر [illegible]
ـ ماذا حدث يا (هانم) ؟.. هل [illegible]
كلا .. [illegible] بعد [illegible] ولا [illegible] الارتباط بين جفوني
وكم [illegible] منظر في [illegible] لأنه [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] الأمر [illegible] يحكي
وهكذا مضى اليوم
[illegible] في كل لحظة [illegible] أن [illegible]
[illegible] على [illegible] وهي [illegible]
لكن ظني خاب في كل مرة
أخيراً انتصف الليل
[illegible] في [illegible]
كي [illegible]
حبيبي [illegible] وكان الظلام يحرقني
[illegible] من ملاحة [illegible]
وفي [illegible] من جوف الثلاجة [illegible] المرأة
المرأة التي كنت قد نسيت كل شيء عنها
إن هذا غريب
هذا المشهد لا يمت بصلة لصالة داري ..
اقتربت في حذر من المرأة .. وكما توقعت لم أر في انعكاس لي
[illegible] (الأخرى)

[illegible] صورة كلاسيكية غريبة [illegible] كأنها
[illegible] هي كذلك لامرأة جميلة جداً تتزين وهي تنظر إلى
[illegible] [illegible] غريبة [illegible]
الإكمام [illegible] وكانت [illegible] هي الأخرى ـ
[illegible] شبيه
[illegible] الصورة [illegible] على [illegible]
الثلاجة [illegible] الوقت [illegible] كالصورة [illegible]
[illegible] إلى هذه الصورة [illegible] لا [illegible] عنها [illegible] شيء
ثم .. بدأت أرى انعكاس صورتي من جديد
ترى ما معنى هذا .. وما هو أصلاً ؟
[illegible]
وفي الظلام [illegible] المشهد [illegible]
حتى غلبني النعاس ..

* * *

صارت الأيام التالية جحيماً
[illegible] المرأة فقط .. [illegible] الوقت [illegible]
الشعور [illegible] هذه المرأة [illegible] انعكاس [illegible]
محبوسة [illegible] انعكاسي
كانت نظراتها [illegible]
[illegible] الرجال
[illegible] العكس
[illegible]

ـ تلك الصورة التي في المرآة تفزعني

يبتسم في سخرية يركن عنه وقال

ـ إن هذا جنون جديد !

ـ مرى منذ كان بعض بهذا التعليق ؟

بعد سنه يام تكرر ما حدث في تلك الليلة وكان ذلك في الصباح حتى أن انصرف عادل ، مررت أمام المرآة شاردة الذهن فشعرت بذلك الشعور الغريب بأن هناك من يراقبني نظرت للمرآة نظرة صاعقة فوجدت شيئا مختلف

في المرآة كان هناك رجل رجل يرتدي بذله وردية ويضع على رأسه طربوش ويسحب شاربه الرفيع الجميل بمشط صغير . كان ينظر إلى في ثبات ثم بدأ يعتدل وضع الطربوش متقنا الوضع الأمثل ثم أخرج سيجارة رفيعة من علبة تبغ معدنية أشعلها وشرع يبتسم بخبث راضيا عن نفسه !

بدأت الصورة تذوب بينما هي تتشكل وتصغر

وحين عاد انعكاسي القديم إلى السطح الزجاجي هتفت بدا متشككة ... كأنني أنظر إلى المرآة وفي موجهي أدرتها حول محورها الطولى

ـ هذه المرآة مسحورة أقسم على ذلك كأنها نافذة تطل على كون آخر لا أعرف عنه شيئا ثقب في حائط يفصلنا عن عالم مجهول

ـ هذه المرآة ليست تعكس حالتي النفسية ، وليست وهما لا يمكن أن يكون هناك وهم بهذه الدقة ... الدانتيلا في ثياب المرأة وضفائر عرقتها وشارب الرجل المتحذلقة لم أسمع عن وهم تملؤه التفاصيل من قبل !

[illegible]

انى ابتدئ بعض الوقت اننى كالطود شاخصة البصر في هذه

الصورة التي لا أدرى عنها أي شيء

والآن امامي ثلاث خيارات

اما ان اصارح (عادل) بما عقلتني هذه الفترة من عقل واحد ـ كما يقولون ـ مع استعدادي التام لتحمل لانهم بالتهمه

او ان اتخلص من هذه المرآة بتحطيم او التحطيم او (التهريب) لكنني ـ حتماً ـ ممن يعقلون خمس جنيهات بهذه السهولة

واما ان اتجاهل الامر برمته متظاهرة بأن المرآة المسحورة ليست من الاشياء المرعبة .!

إن الخيار الاخير يناسبني لاسباب لا تخفى على احد

وكذا مرت ايام عدة والمرآة في موضعها

الى ان جاء ذلك اليوم

* * *

قرع احدهم جرس الباب فذهبت لافتحه .. وكانت (هويدا) شقيقتي ومعها (هاني) خطيبها .. اعني احد الاصدقاء [*] وقد اشاعا جوا محببا من المرح في الدار .. وكان هناك الكثير من الثرثرة والضحك .. خاصة حين انفجرت زجاجة المياه الغازية في وجه (هاني) وقت الفتحها

ثم ان هذين الوديعين العزيزين فارقاني بعد ان ابديا اعجابهما الشديد بالمرآة ، ذلك الاعجاب الذي عشته من كل ضيوفي وكنت القيه في رضا تام .. وارجوهم ان يرددوه على مسمع من زوجي

كان (هاني) شاباً وسيما هادئ كالنهر لا يكف عن الابتسام

* سيدتي (سهام) عذراً (رفض) موجود .. وهو شاب خطيب ـ (هويدا) كانت رفيقة تاركها سريعة .. بلهجة مستكين معي

.. كان يتقبل كلماتي القاسية ومداعباتي اللاذعة في رقة ملائكية حتى .. (هويدا) .. انها محظوظة .. صفيقة بحق

وكنت ... ان تضحك اولا رغما عنها ثم تقرر ان تغضب .. وتسمع .. ومواصفات .. الا اقول ذلك عنه

ما عليها ..

.. انهما انصرفا .. فذهبت بعد شقة رواقها وانظف منطقة .. واعيد زجاجة المياه الغازية المتطايرة و

مرة اخرى تتكسر المرآة

هذه المرة كان المشهد مألوفا

... منظر الصالة الذي تعكسه ... لكن كان هناك شيء غير عادي .. فبدلا من ان ارى نفسي حيث وقفت امامها .. وجدت تعكس (هاني) و (هويدا) واقفين معا .. وكانا يضحكان

... كانت زجاجة المياه الغازية تبصق رغوتها

ذات المشهد الذي حدث منذ عشر دقائق

لقد فهمت ما يحدث هنا

هذه المرآة تختزن الصور التي تحدث في مجالها لبعض الوقت ثم تعيد اخراجها في لحظات عشوائية غير متوقعة

كانها كاميرا تصوير تدون الصور على الفيلم ثم تعيد عرض ذلك الفيلم في اوقات بعينها ..

وهذه الاحداث قد تعود الى الثلاثينيات ـ كما تقول ثياب المرأة والرجل ـ او تعود الى عشر دقائق مضت كما حدث الآن

ولكن ما سر هذه المرآة العجيبة التي ستظاهر انها انعكس صورتي ؟

لن أعرف ابدا

لكني – على كل حال – املك اعجب شيء رأيته في حياتي

ولكم من مشاهد عرفت وكم من سر ... فهمت هذه المرآة ... كم من جيل مر امامها وسجل امامها ثم ولى بعيدا

إن هذه المرآة خطيرة ... لكنها فاتنة ... فتنة الى حد لا يصدق

* * *

ان المرآة تراقبني

لقد احببت واجب الحذر ولم ابد امامها لا في احسن صورة ... فمن الدراس ان جيلا كاملا من يجلس امام زجاجها بطابع سري في شعف ؟؟

يجب ان أكون صريحة ... لقد كان الفضول أقوى مني ... كنت اجلس الساعات امامها منتظرة سرا جديدا من اسرار ملاكها السابقين وكلي نهم ... كأنها دائرة تلفزيونية مغلقة تتجسس على هؤلاء الناس ... إن هذا ليس اخلاقيا تماما لكن التجسس على قوم عاشوا قبلي بعشرات الاعوام ولا ادري من هم ... هذا التجسس لم يبد مشينا الى هذا الحد .

رأيت مئات الصور لتلك الغرفة ذات الستائر التي عرفت انها ورثتها شاهدت عشرات المرات تلك المرأة تثبت قرطا او تطلي شفتيها لمحت اكثر من مرة ذلك الرجل – والواضح انه كان زوجها – يمشط شعيرات شاربه .

... تلك من المرات العديدة التي رأيت فيها نفسي افعل شيئا أو ... او ارمق المرآة في توجس

والمرات العديدة التي رأيت فيها (عادل) يروح هنا وهناك مرتديا ... ذات الخطوط الزرقاء الطولية

... كان كل هذا ممتعا ولذيذا ... لم يكن جهاز (التلفزيون) ... وفيها وبالتأكيد لم يكن ... واحد ... وبعد جعلتني هذه ... افهم ما هو (التلفزيون) قبل ان اراه

* * *

لا ان (عادل) بدا يرتاب في امري

... اكثر من مرة عما إذا كنت احاول تعلم التنويم المغناطيسي ... ثم ... انه يخشى على حالتي العقلية كثيرا من ... مستمرة في هذا السطح الصقيل

لا انني كنت مبهورة تماما حتى كنت اجتاز عالم المرآة كما يحدث في القصص الخيالية داخلة إلى ذلك العالم المعكوس خلفها . حيث ... والعكس ... وحيث يتقدم المرء للامام متى سار إلى الخلف ... لم افعل ذلك بل كنت .

وفي ذات مساء كنت جالسة وحدي امامها حين رأيت مشهدا عجيب

رأيت (...) و (...) ورأيت نفسي

وكانت الوجوه ممتقعة كالحة والحركات عصبية ... انا واثقة ... ان هذا المشهد لم يحدث امام المرآة قط ... فضلا عن انني

لا تملك ثوب أزرق بياقة بيضاء و (هويدا) لا تملك معطفا أسود

كان (هاني) يتحدث بشراسة عبر عينيه ويلوح بقبضته .. بينما (هويدا) تدفن رأسها بين كفيها وتبكي ثم ترفع رأسها محاولة إقناعه بشيء ما .. أما أنا فكنت أتعجب دون أن أفهم ما بين الطرفين .. ثم

بمنتهى القسوة رفع (هاني) كفه وصفعها .. لهيب ـ كما هو متوقع ـ صارخة مجنونة بقامة مرتعدة أشياء لابد أنها من قبيل (هل وصلت الأمور إلى هذا الحد ؟ .. تضربني أختي أمامي أيها المنافق الوقح ...) نعم .. لا بد أنني كنت أقول ذلك .. إلا أنه دفعني دفعا بعيدا عنه .. وصاح مرددا شيئا ما ثم انصرف تاركا المرأتين الباكيتين

وبدأت الصورة تذوب

وهنا تقلصت أحشائي

ما معنى هذا الذي رأيته ؟

إن هذا المشهد لم يحدث قط .. فهل هذه المرآة تتنبأ ؟ إن كل شيء يؤكد ذلك .. لكن كيف ؟ وكيف يتحول الملاك الرقيق (هاني) إلى شيطان يضرب النساء ؟ ومتى سيحدث ذلك ؟

أنا واثقة أن المستقبل لا يمكن التنبؤ به .. لكن ما هذا الذي رأيت ؟

هل هو كابوس ناتج بسبب توتري وخوفي على مستقبل أختي ؟ لن أدري أبدا

لكن فكرة لا بأس بها خطرت لي ..

سأعلق تقويما على الجدار المقابل للمرآة سيعكس صورته على زجاجها

وهكذا .. لو شاهدت مرة أخرى مشهدا مستقبليا .. يمكنني أن أعرف تاريخه التقريبي بمجرد نظرة إلى التقويم المعلق خلف ذلك المشهد .. حتى ولو كان الرقم مقلوبا لكنه مقروء

حضرت سمر ومطرقة وصعدت على مقعد لأعلق التقويم وهنا تذكرت شيئا مرعبا

هذا كل مرة يشبه ثوبا معلقا يتصل على الحائط .. ثوب هويدا في المشهد الذي رأيته .. لكني لم أعرف بعد

لا أعرف فحدث عندما عاد (عادل) من عمله

... الشرفة ... أخبر ... إليه ... كطبيب ... وكأنه ... كالمهر الصغير ..

ولقد انتظرت حتى تهيأ الأمر .. كما قال .. وجه الصغير والبسمة

.. لم أكن أعرف مطلبها لكن البسمة كانت تملأ وجهه ولهذا طلبت منها أن تشتري ثوبا يناسبها هي

نظرت إليه في هرع .. وبشفتين مرتجفتين سألته

ـ (عادل) .. هل هو ثوب أزرق ذو ياقة بيضاء ؟

بحث بنظرته الودود التي دهشة لا حد لها .. وسألني

ـ .. وكيف عرفت ؟؟

* * *

- ٢ -

بعد هذا الجزء من القصة كان (شكري) قد وصل لقمة الاستثارة وشرع يشعل سيجارة تلو الاخرى .. في حين تصلبت (هويدا) في مقعدها وقد بدا واضحا انها تسمع القصة للمرة الاولى برغم الدور الذي لعبته فيها ، ولم يفتني ان الاحظ - في خبث - النظرة الجانبية التي اختلستها مدام (ثريا) للمرآة الكبيرة المعلقة في القاعة

قال (شكري) وهو يعابث لحيته وقد اتسعت عيناه

- إن هذه القصة تلعب على وتري .. الخوف الكامن في الانسان من المرايا .. ثم الخوف من الاشخاص الودودين اكثر من اللازم

قالت (سهام) في ضجر :

- لم افهم الأمر مثلك وقتها .. كنت متوجسة [illegible]

قال (شكري) وقد بدا (يماكر) حقًا

- لكنك لست معنى الرعب الحق

- أستاذ (شكري)

قلتها في كياسة .. [illegible]

- كلنا نعرف انك [illegible] قصة ؟

نظر لي عينيه باحثًا عن رد [illegible] سلامه [illegible]

في استسلام كي تكمل كلامها

* * *

قالت (سهام) :

صار الامر شبه مؤكد بالنسبة لي خاصة حين علمت ان (هويدا)

- [illegible] بعد يومين من هذا الحادث .. اي ان الامر صار [illegible] المشجرة التي سيكشف فيها (هاني) عن النباب [illegible]

[illegible] لا ادري .. [illegible] من استحالة السبق .. لكن كيف نحشد كل هذه المصادفات ؟ .. إن رأسي يكاد ينفجر حقًا

[illegible] اطول [illegible] امام تلك المرآة اللعينة

- [illegible] مرة شاهدت تلك المرأة جالسة امام المرآة .. وكانت تتزين [illegible] على الجانب الآخر من الجدار الزجاجي .. ثم رأيت الرجل [illegible] ويقف خلفها [illegible] محادثة شبه غاضبة ، [illegible] رأسها [illegible] انعكسة في المرآة متعمدة [illegible] الرجل يلوح بخطاب [illegible] .. وبدت هي مشدوهة لكنها تحاول التظاهر انها اقوى .

[illegible] عيناها .. ورأيت الرجل يمد يده في جيب بدلته ويخرج مسدسا صغيرا جميل الشكل ويصوبه نحو رأسها .. و [illegible] الصورة وعدت ارى انعكاس وجهي

[illegible] وجهي - في المرآة - يضحك بخبث .. ثم [illegible] غمزة ماكرة بعيني اليسرى جعلتني اقفز مترا الى الوراء .. لم اكن انا صاحبة الغمزة .. والا فأنا على حافة الجنون ولا ادري شيئا عن نفسي

[illegible] هذا الذي رأيت ؟

لا جدال [illegible]

لقد رأيت شروعاً في جريمة قتل حدث في مكان ما من [illegible]
هذا القرن

ولا يمكن أن تكون هذه الصورة [illegible] عقلي الباطن

ومكن من قتل من ؟

* * *

بعد أيام فوجئت بمشهد أكثر غرابة

[illegible] واحجار [illegible] المشهد [illegible] لا شيء على الاطلاق يمكن [illegible] او [illegible] هذه [illegible] ؟

ثم عادت الصورة تعكس وجهي كالعادة

وهنا دق جرس الباب

لم يكن (عادل) في الدار [illegible] في احدى المأموريات [illegible] وفتحت الباب وكان القادمين هما (هويدا) و (هاني) [illegible] الرفيق [illegible] وبرغم هذا لم استطع ان استريح [illegible] لقد سمعت هذه المرأة [illegible] الى الابد [illegible] لقد تحدث الاستاذ (شكري) و د. (رفعت) عن الاشخاص الموهوبين اكثر من اللازم [illegible] وهذا النوع موجود في قصص كثيرة [illegible] الساحرة تدعو (هانز) و (جريتل) الى [illegible] لانها تريد التهامهما [illegible] (علاء الدين) يتظاهر بانه صديق اصدقاء ابيه

[illegible] ونحن [illegible] كانت على استعداد [illegible] هذا الفتى

[illegible] هو [illegible] (هويدا) كانت [illegible] الاسود "

[illegible] (هويدا) [illegible] تبحث عن شقة [illegible] (هاني) [illegible] من [illegible] ويدافع عن نفسه عصبية

[illegible] الموقف [illegible] عن [illegible] من يريد عن [illegible]

وهنا قالت (هويدا) في حنق

- [illegible]

- [illegible] ؟

[illegible] في عينيه .. يا لك من [illegible] (هويدا) [illegible] لا [illegible] .. بل وتتحول الى محاولة [illegible] موضوع

- [illegible] الثوب [illegible] الذي [illegible] لك [illegible] "

- [illegible] الثوب الازرق ؟"

- [illegible] "

- [illegible] "

[illegible] على [illegible] يجرؤ [illegible] على [illegible] هذا الثوب [illegible] ولولا انه هدية من (عادل) [illegible] لانها لا [illegible] ولا [illegible] (هاني) [illegible] بعد دقائق

وهنا لاحظت ان صورة المرآة تتبدل

لقد صرت مدربة تماما على معرفة هذه اللحظات

لم يلاحظا قط انني انظر إلى المرآة لانني لم اكف عن الكلام وانا ارمقها بطرف عيني

- إنه مصسول ... ثم إنه

رأيت صورة (عادل) يصيح في عصبية ... وان اريد شيء من قلق واحاول منعه ... ثم ... التعويم يشير الى ان هذا سيحدث بعد اسبوع

- ضيق جدا ولا يسمعني ... و

(عادل) - في المرآة - يمد يده لجيبه ويخرج مسدسه ويصوبه نحوي

- .. ونومه ليس ...

وقلت سيطرتي على اعصابي ..

انفجرت ابكي في حرقة ... حتى (عادل) نفسه لن اثق فيه بعد اليوم ... وقد قالت المرآة انه سيحاول قتلي ... (هويدا) و (هاني) يتساءلان عن جرح مس نحاس ويطيبان خاطري ... ان المرآة التي تبكي حين تتحدث عن ثوب جديد هي ... دون شك ... مصابة بالمته

حين انصرف في النهاية كنت منهارة تماما ... وانتويت ان اخبر (عادل) بكل شيء

* * *

ما ارقك يا (عادل) !!

ربما تتقلب بك الايام وتولد خلافات لم نتوقعها

لكني سأظل مدينة لك ابدا بالبساطة والتلقائية وقابلية التصديق التي تتقبل بها كلماتي ... لم يتهمك احد قط بأنك مرهف الحس ولا ... منهم

كنت ... فقد ... ارتكبت هذه الخطيئة ... اظهار المعاني ... (عادل) الى المرآة وتفحصها في شك ... ثم اشعل سيجارة ...

- ... حمقاء ... (...) ... انني بالتأكيد اتوق الى حمقك لكني

- ... عليك الرومانسي لأي سبب ؟!

- قلب اطار المرآة وسطحه

- في البدء يجب ان نعرف ما إذا كانت هذه الرؤى خاصة بك ام ... ثم نحاول معرفة مصدر هذه ...

... في ... محاولة لا تبدو حمقاء

- (عادل) ... لم تتهمني بالخرف ... وبأن بقائي وحيدة في ... قد انهك اعصابي ؟

- ان هذا غير صحيح

وهكذا ... مضت الساعات و (عادل) جالس في مقعده يتأمل ... حتى انني بدأت اشك في حالتي العقلية حين كنت ... الساعة ... يجلس في مقعده يدخن ويصغي للراديو

ولا ... انها كانت الواحدة صباحا حين سمعت صوته المبهوت

بنابيبي .. فهرعت حافية القدمين لأرى ما هناك .. إلا أنني وجدت انعكاسًا غريبًا لوجهينا على الزجاج .. وقال عادل وهو يرتجف وهو يخشى ألا أصدقه

ـ لقد حدث .. رأيت .. رأيت

ـ نعم .. ماذا رأيت ؟

ـ رأيت فتاة شابة تنظر من فوق كتفي وقد بدا [illegible] الخوف يلفها

ـ وكيف كان طراز ثيابها ؟

هز رأسه في حيرة

ـ لا أدري .. مثل أفلام الخمسينات .. تقريبًا

ـ إذن هي مالكة المرآة بعد الرجل والمرأة

نظر إلي عادل بعينين زائغتين .. ثم قرر أن يواصل المشاهدة وأمرني أن أنام لأن سهرته ستمتد طويلًا

* * *

حين صحوت في الصباح وجدته ما زال جالسًا

كانت منفضة السجائر حافلة بالأعقاب .. وفي عينيه بريق نظرة غريبة

نظرة شك لم أرها من قبل

ـ (عادل) .. هل ثمة شيء جديد ؟

نظر إلي في شرود .. ثم هز رأسه أن لا .. ونهض إلى غرفته ليرتدي ثيابه استعدادًا للذهاب للعمل طالبًا مني ألا أعد له فنجان قهوة

ـ ولن تتناول الفطور ؟

ـ لا .. !

قالها في عصبية لا مبرر لها .. وانصرف تاركًا إياي غارقة في فكر سوداء عن سر غضب [illegible] .. إن الأمر يتعلق .. بالتأكيد .. بسر [illegible] في المرآة في تلك الليلة .. فما هو ؟

لم أستطع أن أجبر نفسي على الكلام معه بعد .. أما الآن فإن الدار تحتاج لتطهير وجهد .. وعلي أن أنظف كل هذا

وقد [illegible] عثرت [illegible] تحت السجاجيد بين [illegible] صحبة [illegible] .. وربما قمت بذلك كل شهرين مع الخادمة .. لكن الوقت في حاجة لذلك اليوم

[illegible] أقلب جوانب السجادة كاشفة عما تحتها حين وجدت ورقة .. الورقة القديمة التي نسيها أحدهم في إطار المرآة .. وعجزت عن فهم [illegible] من الموجود فيها .. إن الأمر قد يتطلب [illegible] يوم بطوله [illegible] .. أما اليوم فالفضول يقتلني .. أحضرت [illegible] من القطن وشرعت أحاول برفق فتح الورقة التي اهترأت بعض من محتوياتها [illegible] الأولى .. ها هو ذا شيء ما يبدو [illegible] كتابة بحروف لاتينية .. بلغة لا أعرفها .. إذ لا أجيد سوى بعض الإنجليزية و[illegible] الفرنسية من [illegible] فقط) .. [illegible] قرأت [illegible] ووضعته تحت زجاج (أنتيوفيه) حتى يحضر (عادل)

وهنا دوى صوت الباب ينفتح ..

تكلم [عادل] في عصبية . وهز رأسه محييا . وتساءل :

- وحدك ؟ حسن .. إن معي بعض الزملاء .. تعدى ثلاثة أكواب من الشاي .. شاي ثقيل ..

دخلت المطبخ لأشعل الموقد وأضع الإبريق حين سمعت صوت قرعات متتالية آتيا من الصالة .. فنظرت برأسي لأرى ما حدث ، فوجدت رجلا ضخم الجثة – واضح أنه غجري – يهوي فوق المرأة بمطرقة كبيرة محاولا تهشيمها .. إنه من السهل تهشيم بعد ضربة واحدة أما هذه الدمية فتحملت عشرات منها دون جدوى .

تبادل [عادل] نظرة ذات مغزى مع رجل أشيب الشعر يقف بجواره .. ثم أخرج مسدسه وركب شيئا طويلا على فوهته [فهمت أن هذا كاتم صوت كي لا يفزع الجيران] وصوبه نحو المرأة .. دوت عدة طلقات مكتومة لكن شيئا لم يحدث .. ارتدت الرصاصات متدحرجة على الأرض .

- ما رأيك يا د. [سامي] ؟

سأل الرجل الأشيب .. فهز هذا رأسه في حيرة .. ثم قال بصوت خافت :

- اقترح دفنها في هوة سحيقة بالجبل .

وهنا صاح الغجري في هلع مشيرا إلى المرأة :

- إنها تضحك .. تضحك ..

خرجت من المطبخ لأرى ما هنالك .. كانت انعكاسات الوجوه في



فوجدت رجلا ضخم الجثة – واضح أنه غجري – يهوي فوق المرأة بمطرقة كبيرة محاولا تهشيمها

المرآة تشير لنا وتضحك في سخرية ! إن قسوة في تعبيرها قد راق له إلى أقصى حد ، حتى أنها لم تعد تخفي ذلك

شرع الصحفي يحوقل ويبسمل ، في حين ظل (عادل) يرمق المرآة في صرامة ، كانت لحيته نامية وأرهقت ليله السهر مرتسمة على تجاعيد وجهه ، إلا أنه كان قد وصل لقراره

- (بيومي) احمل هذه المرآة وضعها في البوكس !

وقد اضطربت وسوسة بشفتي صاحبه (عادل) ، فهرع ليرى من بين وقد بدت عليه شرة من الضيق لخروجي من المطبخ ... همسه

- من هؤلاء ؟

- صحفي عندي وأستاذ أمراض نفسية من أصدقائي القدامى

- وهل عرفت شيئا عن المرآة ؟

- وجدنا بائعك ... وعرفت منه أنه ابتاع المرآة من محدثات بيت مهندس زي ... وكان هذا قد ابتاعها من مزاد صودرت فيه أملاك بعد عيون من قبل الثورة ... والملاحظ هنا أنه

- ماذا ؟

- كل من امتلكوا هذه المرآة قتلوا أو انتحروا ... كلهم ... لقد جلبت هذه المرآة الخراب لبيوت عدة ..

- وهل رأيت شيئا لمس ؟

احمر وجهه وهمس في ضيق

- أشياء مثيرة ... بخصوصك ... إن هذه المرآة الملعونة كانت تثير الشك في نفسي تجاهك تلك الليلة !

- ولقد جئت على غير موعد وسألت إن كنت وحدي ...

نظر لي في حيرة ولم يرد ... ثم أنه أدار ظهره وسحق بالترجيين ولا أن نتبينه مرة أخرى

- (عصى) الورقة تحت زجاج (النيوفيه) كانت في المرآة لا أدري بأية لغة كتبت

سحبه عبر النور وعد أظافره سحرج الورقة

ثم أنه نادى الرجل الأشيب وشرع يفحصانها ... هتف الرجل في ثقة وهو يتأمل الورقة

- لاتينية ... نعم لاتينية ... لنا أقروها إلى حد ما ... الشيطان يسكن هنا ... هذه المرآة ... لا ... لا تصدقوا ما ... ترونه منه

ثم رفع رأسه مرددا العبارة كلمة

- إن الشيطان يسكن هذه المرآة فلا تصدقوا ما ترونه فيها

نظر له (عادل) في حيرة ... وهمس

- ومن تظنه كتبها ؟

- لن نعرف أبدا ... لكنه كان صادقا ... هذه المرآة تعبث من يمسكها وتريه أحداث من الماضي وأحداث كاذبة من المستقبل وبالتالي تختلط عليه الحقائق ويجن أو يودي بحياته ... على أنها كانت صادقة في نبوءة واحدة

- وما هي ؟

- مصير الأحجار الذي ملأ صورتها ... كانت تعرف تماما أنها ستلقى حتفها دفينة في أحجار بين الصخور ... وهو عذاب تستحقه تماما

ـ إني فلأسرع بإنهاء هذه المأساة

وسمعت جلبتهم إذ ينصرفون

وسمعت انغلاق الباب

فخرجت وحدي إلى الصالة أنظر إلى الركن الفارغ الذي احتضن المرأة لشهر كامل .. الركن الذي عد بالتسريح أهم ركن في الدار

فشعرت بحنين لا يمكن تبريره

هل أنا حقًا عاطفية وحمقاء إلى هذا الحد ؟

* * *



لماذا رفضت [illegible] ؟..!

يحكيها د. (محمد)

— ٦ —

قالت (سهاد) وهى ترشف الكاكاو :

- ماذا تقولون عن هذه القصة ؟

قالت (هويدا) مبتسمة :

- أنا مع تعاطفى إلا أننى لا أعرفها بحيث يمكن القول إنها عربية لكنها غير مرعبة

قلت وأنا أشعل سيجارة أخرى :

- بالعكس [illegible] هى مرعبة لكنها غير غريبة [illegible] كوابيس المرء قديمة قدم المرء نفسه [illegible] يتفاوت بتفاوت سعة خيالهم

ونظرت نحو د. (سامى) مبتسما

- إذن أنت تعرف هذه اللعبة [illegible] كل الوقت

- الرجل المهذب هو من يتحمل [illegible] لكنه [illegible] إنها قديمة

- كلام لا بأس به [illegible] والآن [illegible] (محمد شاهين) [illegible] الرجل الطيب - وكان موشكا على النوم - [illegible] وهو يجلس معتدلا

- ماذا ؟ ولماذا أنا بعدها ؟

- إنها الحروف الأبجدية [illegible] (سهاد ثم محمد)

- [illegible] إن كان الأمر كذلك [illegible] قصتى

ثم تذكر شيئا [illegible] وهتف [illegible] التلاعب به

[illegible] إنه حروف أبجدية ؟ لو كان هذا صحيحا [illegible] (ثريا)

ثم تلاها د. (رفعت) .. ثم

[illegible] (قيصر) [illegible]

- [illegible] الترتيب بحسب [illegible] ؟

[illegible] فى ارتياح وقال :

- [illegible] الأمر كذلك لا [illegible] هنالك [illegible] ولا [illegible]

* * *

قال د. (محمد) :

[illegible] الحيوان [illegible]

[illegible] الحيوان

[illegible]

[illegible] الحيوان [illegible]

شهور أو لا يملكها على الإطلاق ..

* * *

[illegible] فى (القاهرة) [illegible]

[illegible] الحرب قد [illegible] أعوام

[illegible] وكانت هناك حركات ثورية [illegible]

[illegible] كنت بعيدا عن كل هذا [illegible]

[illegible]

كان [illegible] فى [illegible]

[illegible]

لكني كنت مغروراً في حياتي الريفي الطبيعي ... والأمل الخافت
الذي لا يبعث بروانس ... يوم لتكم عرفتموني "

أي صبر في أن تسخر الفتيات من حذائي " لقد سخرت هذه من
(بنيامين فرانكلين) يوماً ما وأطلقت عليه (الكائن العجيب) ثم لم
تلبث أن قبلت بكل فخر أن تكون زوجة حين صار المصلح والعالم
الأمريكي الأشهر

أي صبر في أن يتهكم الشباب على ثيابي " إن (بيتهوفن) كان
كريه الرائحة قليل الاستحمام ... و (تشارلز ديكنز) كان قبيحاً
كالقرد ... وحتى (أينشتاين) اتهمه مدرسوه بالتخلف العقلي

كنت واثقاً أنني أصنع نفسي

وكنت أجد ما بين صفحات الكتب ما ينسيني عذاب السخرية
لكن شعوراً واحداً كان يحرق فؤادي ،

الوحـدة ..!

الوحدة المريرة التي لن أتحملها يوماً آخر بأي حال

كنت أعيش في غرفة حقيرة في أحد أحياء القاهرة الشعبية
وكانت بعض أسر العمال تسكن جواري ... هم يسخرون مني ... أية
متعة يعيشها هؤلاء البؤساء بين أسرهم ... صوت الضحكات
لعب الأطفال ... الشجار ... عبارات السباب ... كل هذا كان يحرقني
بحريقه ... وحتى قشور البطيخ الملقاة في الزقاق كانت توحي ... فهي
كميات أكبر بكثير مما يستطيع شخص واحد أن يلتهمه "

كنت أحيا في هذا الجحيم

وبدأت أفهم لماذا يتزوج البشر ... إنه الضمان الوحيد كي تجد
إنساناً آخر مثلك لا يتركك وحيداً أبداً

كنت غارقاً في لجة الكآبة حين قابلت (جمعة) *

كان صغيراً بحجم قبضة اليد ... قذراً كعصفور [illegible] ... شرساً
كنمر ... جلده كسمكة ... تعساً كالشيطان ... وحيداً مثلي

هناك [illegible] ... مجرد [illegible] يرتجف برداً
وجوعاً ... بتلك الطريقة الصامتة الواهنة التي تجيدها القطط
وتسلب بها قلوبنا

حملته إلى الحجرة ... ووضعته في [illegible] التي
[illegible] (الثلاجة) من قريتي ... واعتصرت به بعض [illegible]
التي كنت قد طهوتها بنفسي [illegible] عنها في اشمئزاز [illegible]
لا بأس به في طهوي

فتحت له علبة من السمك المحفوظ وشرعت أضع أمامه قطعاً [illegible]
[illegible] بلسانه أولاً ... ثم بدأ يأكل

[illegible] يلعق [illegible] بلسانه ، فحملته في قبضتي إلى
الصنبور ... وغسلت جسده وسط محاولات الإفلات المضحكة ومواء
[illegible] ([illegible]) لأن غسيل القطط
بالماء تحت الصنبور خطأ قاتل !)

[illegible] وشرعت [illegible] شعره [illegible] في [illegible]

ولكن هذا هو الحب الأول في حياتي

أسميته (جمعة) لأنني كنت مثل (روبنسون كروزو) * وحيد
في جزيرة قصية إلى أن وجد صديقه ... وهذه الصحبة كانت قد بدأ
[illegible] في يوم جمعة ... فسماه بهذا الإسم

[illegible]

لقد غير (جمعة) حياتي تماما

صار لي هدف احيا من اجله واعود للداري من اجله

كان يرقد على فخذي حين انام ويعلق وجهي مع شعاع الفجر الاول ويربض على ظهره مدبب حتى ثم يتربع على مكتبي الحقير امامي اذ ادرس مصغيا ذلك الهرير الرائع مستمتعا

انو فع اسي كنت امسك بقطب لا يبرح هذا فقط هو احي فقط هو مصعب بقطب حلقي بسيط بجلده يمشي على ريح ويأكل السمك ويموء ولا بد لي ان احبه كما هو لانه حبه

ظلت الايام تدور به

وفي الاوقات الطيبة التي كنت اقرأ فيها نور عيني كتب عمر مدح الحجر امال ابنة الجيران كل صفحة

كان هذا في الفترة السابقة بمقتلي بـ (د عر)

* * *

اسمه عجيب عم ذلك

لكن وجهه اكبر عليه فهو شخص مع منذي العينين سطوي حصلات سعد بحس في الهواء ضحك مهيب ولكنو معولون به من امس مركي مرور مظهره عبر حروب و العجيب

ولكن من ومن سبب مرتفع من شخص عن الطربوس ويرعد كبيرير خوف هدوء في الايام واخر الارتعاشات لا كان اولهم

قبلته في الجمعة يحرس للصبغه

كان على التعيس مني في كل شيء ومن الشرح كيف

لكنه كان شخصية متخصصة يعقب ذات النور الذي تشبه البنورة صغيرة حين تعطفه في سمر مشبع انه مركز مبور او راوه

ولكنه معنو هي الذي اسعده ابعد انه من قوتها

ومن الشخصية الاولى ادركت انه لن يكون صديقي

حتى (د عر) اصر على عكس

ولكنه ما راى

* * *

كنت جالسا في المكتبة اطالع بعض كتب علم الاجناس حين وجدته يحمل مظلته جورى يعطر الغريب الذي يذكرك بشيء لا تدري كنهه والنصبة الدقيقة كان من افضل عطر في البيانو

على من وهو يطلب ملحقات كتب

ـ من زميلاي هل تعرف ذلك انى معاذا لا تعرف

ـ (محمد محمد) من احدى قرى القليوبية)

يبسم في شيء من الرقة الممزوجة بالتهكم وقال

ـ تسمى (د عر) د عر الصغير وعلى كل حال انا تم صب معرفة محافظتك

ـ هي البلدة لا اكثر

وهكذا تحدثت كان مسببا وواسع العلم لكني لم استطع ان احبه نعم لا سبب له يمنعني تجاهه تلك النفور الذي تسربه حدقي المحتور عن طبيب مثله يمتلك كل شيء

لكنه كان مرجعا كالشبهة كنت نظرا انه محملة ثابتة الى درجة مزعجة مسببة حركتك معه

الخلاصة أنه كسب أرضًا بعد هذه المحادثة ، وصار من حقه أن يجذب مقعدًا إلى جوارى فى أى مكان أجلس فيه دون أن أتمكن من الاعتراض

هل هو أحمق إلى هذا الحد الذى يحرص معه على ألا يفلت ظلى من ناظريه ؟ أم هو يتسلى بهذا النمط الساذج الغريب الذى كنت أظن أن لديه أصدقاء كثيرين ويمكنه دائمًا أن يشغل وقت فراغه بين أنه ... صديق أو لا صديق ... طلب زيارة دارى

كدت أجن ... وطفقت أولول وأصرخ وأؤكد له أن دارى ليست ... بل هى أقرب إلى الحظيرة أو السوق أو ... الكرار ... وأنه لن يحب رؤيتها فضلا عن دخولها ... فلا داعى لهذا التودد

إلا أنه ابتسم فى لزوجة ... وقال لى :

- إننى على غير ما تحسب ... وجميع الأماكن عندى سواء

- ما دمت مصرًا ... فعلى الأقل ستجد لك كوب مكسور ... هناك يصلح لتشرب فيه شايًا !

- كما تريد

* * *

وفى مساء الأربعاء أولجت مفتاح الباب فى القفل ... ودخلت الغرفة ومعى هذا الأخ المتودد ... وشرعت أزيح الزجاجات المكسورة والخرق وعلب السمك المحفوظ الفارغة التى تسد طريقه إلى المقعد الخشبى الوحيد

- ليست غرفتك بشعة إلى هذا الحد ... تبدو لى كغرف الرسامين التأثيريين فى (مونبارناس)

- فهم هذه العبارة لكنها أكدت لى أنه قد سافر إلى هذه ال... ... مرة من مرة ... ولا بد أنه مكان رائع فيه عدد عرف الرسامين التأثيريين الفقراء التى ... ما علينا ... سأعرفه بأخى السورى جمعة ... الذى سيعجبه حديث أرض أوسع ... حماسه وكل الناس ... يتحدث عن الحيوانات والأطفال

- (جمعة) ... أين أنت ؟ ... أيها الهر السخيف

- هل لديك هر ؟

... وقد بدا تغير الارتياح المرتسم على وجهه ... لا أكذب إذ ... به بعد ذلك ومتوترًا

... فى مداعبة واضحة

- يبدو أنك لا تحب القطط ؟

- ... ولا الحيوانات عمومًا

- ولكن صبرًا حتى ترى (جمعة) .

وركعت تحت الفراش باحثًا عن ذلك القط العنيد

كان هناك فى الركن المظلم متكورًا حول نفسه وقد انتفشت ... واتسعت عيناه فى الضوء كفيروزتين ، وكان يصدر زئيرًا ... غير عادى ... فلما مددت يدى نحوه أصدر فحيح الأفعى

- هذا القط خجول أكثر مما توقعت .

... إلى ظهرى حيث الضيف ... تحت الفراش

سمعت صوته الرخيم العميق يقطع

- دعك منه الآن



وركضت عبر العراء باحثة عن ذلك القط العجوز
كان هنالك في ركن نظيف متكورا حول نفسه

فبكى وعدت ازحف على ركبتي خارجا ووقفت عبر قدمي
ـه الفتى الذي مد يده يزيل شيئا ما من على ذقني ويبتسم

- وجهك غارق في الطين وخيوط العناكب

- لقد أنقذتك

وعلى السقف تحرك صديقي البرص مغادرا داره ما بين الواح الخشب التي تدعم الحجرة ، وهو حدث غير مألوف في هذه الأوقات من النهار لكنه حدث وأرجو ألا يلاحظ ضيفي ذلك

دعوته للجلوس فجلس على مكتبي المتهالك الذي أدرس عليه كيف كان أعظم الناس في العالم ، وبدأ يتفحص كتبي بيد فضولية

- تقرأين كثيرا

- ليس لدي عمل آخر

- قراءاتك متنوعة

- إنه ذلك الظمأ المقدس للمعرفة

وشرعت أعد له كوبا من الشاي مكتشفة - في كل ثانية - أية حياة حقيرة أحياها وأية هاوية أنا منزلقة فيها وهو الاكتشاف الذي كان يعاودني كلما زارني أحدهم لا يوجد براد نظيف لا ملعقة غير صدئة لا كوب غير مشروخ تبًّا لها من حياة

على أنه لم يبد مهتما بكل هذا

بل إنه أخذ كوب الشاي بمودة ونوع من الامتنان ثم أخرج علبة سجائر من جيبه الأنيقة وناولني لفافة رفضتها شاكرة

- لا أدخن شكرا

اشعل لفافته في بودة وبحث بعينيه عن مطفأة لكي اشرب به الا [illegible]
من القاء الرماد على الارضية ... بدا يتحدث محدقا ... ثم قال لي
- انت لا تتحدث ... وتقضي الوقت في الدراسة ... انك نموذج
الطالب المجد الذي كنا نرى صورته في كتب المطالعة الابتدائية
سيرى هذا المسيح لكي تصل الى انه كان يبهدل ... [illegible]
- وطبعا سنتوقع انك ستبدد مجدك وان هذه المعرفة هي
السرقة التي ستحقق منها ثروته [illegible]
- لا ادري .. لكني احاول .
قال نقطة فرنسية لم ادر معناها ... لكنها - بشكل - تحمل معنى
الهيبة او كما تقول ، كان عرفت فيما بعد) ... ثم رشف جرعة
شاي وقال
- انت غارق في الحلقة الدامية الشهيرة ... من لا يستحق يجد
ومن يستحق لا يجد ... ومن المحتمل ان تظل في هذه الحلقة كي
تسحقك دون ملايين البشر كي تحطمها
[illegible]
ابن المدينة يحاول بعض من منطق [illegible]
قلت في فتور :
- لكني احاول ... أليس كذلك ؟
لمس [illegible] في صوتي فتورا .. [illegible] قليلا ... [illegible]
عن العقاد او ... طه حسين) [illegible]
بيت كلب الجيران يكف عن النباح لحظة ، ماذا دهاه هو
المخبول ؟

صمت لحظات ونباح الكلب مستمر ويتعالى ... مع صوت سباب من
جاري ابي (امال) يصف كلبه باقذع النعوت
[illegible] (داغر) بعض الشيء وبدا انه غير قادر على الاستمرار
- كون بقايا لفافة شبه ورمى بها ارضا ... وسهد
- سنواصل حديثنا في وقت اخر ..
ونهب للانصراف [illegible] كثيرا وان تظاهرت بالعكس ... وعلى
باب الحجرة استدار وتشمم الهواء ... وهتف
- تذكر .. انت تستحق ما هو افضل .

* * *

حين عدت لفراشي شعرت بروحي تضيق حتى تتصاعد الى
[illegible] ... لقد نجح هذا الوغد في افساد [illegible] الذي كنت استمتع به
عبر حياتي ... ورغم [illegible] فاني ادرك انها كانت اجمل وانظف من هذه
[illegible]
لا تتكلموا يا رفاق
ربما انا ضعيف الشخصية او طيب القلب لكن ليس الى هذا الحد
ومهما كان [illegible] يحب زوجته فهو خليق بان يمقتها اذ ظل هناك
من يفضحها في عينه ليلا نهار
- [illegible] كوب من الحليب تكفي [illegible] واحدة كي [illegible] الى
الابد
- المشكلة الحقيقية كانت مع (جمعة)
- هذا [illegible] الابله كان متوترا متحفزا بشكل غير عادي ... بل انه

ظل يرتجف طيلة الساعتين التاليتين وعزف عن الأكل حتى كدت أموت رعبا عليه

كانت العاشرة مساء حين قرعت الباب (آمال)

ابتسمت في رقة معتذرة انها جاءت بعد [illegible] موعود ان [illegible] كلمتين او ثلاثا معي قبل ان [illegible] لفراشها . صحيح ان هذه [illegible] لم تبد مطلقا اي اهتمام بي لكني كنت اصبح (بسيامين الرائكين) بحسب عيني .

لكنها كانت جادة

كانت متوترة حقيقة لا تمثيلا

وقالت وهي تبتعد عن الباب في حيرة

- لا مؤاخذة يا سي (محمد) على مضايقتك .. ولكني كنت عائدة لتوي حين رأيت هذا .

- رأيت ماذا يا (آمال) ؟

اشارت الى الارض .. الى عتبة غرفتي الخشبية .. وسألت

- من اين يأتي كل هذا النمل ؟ وهو يهرب من غرفتك انت بالذات ؟

* * *

[illegible]

- [illegible] (محمد [illegible]) [illegible] مألوفة لي [illegible]

لا يمكن ان يكون هذه [illegible] الأشد [illegible]

[illegible] او بحر

ثم نظرت له في جدة [illegible] واستطردت

- [illegible]

[illegible] الحكمة او [illegible]

مطعم (شكري) في عصبية هاتف .

- هذه تقصد القصة هذه المرة ؟

نظرت له في [illegible] من العجيب [illegible] كراهية [illegible] - لا [illegible] -

[illegible] الى علاقتي بهذا المنتحر [illegible] غريب [illegible] -

[illegible] ملأ روحي [illegible]

[illegible] بعشرين عاما [illegible] الا [illegible] وصل الى درجة

القتل ..!

قال د. (محمد شاهين) في حيرة

- [illegible] ([illegible]) [illegible] الاجابة على [illegible]

ستفهمك بعد دقائق

ثم انه [illegible] فصاح [illegible]

- بالنسبة [illegible] تحكي القصص حسب ترتيب [illegible]

- غير صحيح و لا [illegible] هو الاستاذ شكري [illegible] تذكرت ذلك

[illegible]

ماذا أقول لهذا الرجل ـ ؟

ـ د. (محمد)

ـ نعم ؟

ـ هلا أكملت قصتك الشيقة هذه ؟!!

* * *

قال د. (محمد) مواصلا حكايته وقد احمرت أذناه قليلا حين انصرفت ... قال، بدأت أدرك أن هناك شيئا ما ليس على ما يرام ... بالواقع لم يكن أي شيء على ما يرام

وكنت على ركبتي أتتبع سرب النمل الطويل المتكشف كأنه رسم بفرشاة سوداء على خشب الأرضية

ها هو ذا ... إنه يتعرج حول نفسه متجها إلى أحد شقوق الحائط الكثيرة ... الموضع الذي يمر منه كل هذا النمل

ما معنى هذا ؟

هجرة نمل في هذا الوقت من العام ؟

وقط متوتر كأنما وصلت ذيله بقابس الكهرباء

وبرص يعلن عن رأيه في الوقت الملائم لبدء البيات الشتوى

وكلب يعوى كالمسعور دون سبب واضح

كل هذا متزامن مع ذلك الشاب غريب الأطوار والمظهر ... الذي كان عندي من لحظات

إن هذا يعني ...

وسحب شعر رأسي (كان عندي شعر رأس في تلك الأونة)

وسحال جلدي كجلد الإوزة

... لقد فهمت الحيوانات والحشرات ما لم أفهمه أنا

* * *

ومضيت أجول الغرفة في قلق

كان (جمعة) قد هدأ قليلا لكنه متكور كالجورب القديم في ركن الغرفة ويرمقني في توجس

كف عن الهلع أيها القط السخيف ... أرجوك

لم تعد لدي أعصاب لتتحمل كل هذا .

ولكن ... ما سر هذا الاسم الغريب الذي يحمله ؟ أمر واسع ... هذه ـ كما تعلمون جميعا ـ ولكن من السهل أن أقول ... (... غر) معناها (لص) وهي كلمة عربية فصحى لكنها ... معناه ... (السطير) فهو إسم ملئ بالدلالات ... خاصة إذا ما استبعدنا معناه القريب الدارج

ـ أعرف أن (لوسيفر) هو الاسم اللاتيني للشيطان ... وقد كان في الأصل يعني (الزهرة) حين تعني (كوكب الصباح) ثم اقترب ... للشيطان في الديانة المسيحية لأنه كناية عن الخيلاء التي تقود صاحبها للهلاك

فهل ثمة دلالة معينة متشابهة حروف (لوسيفر) و (السطير) ؟!

شيء غريب الحسم ـ كما تذكرون جميعا ـ وتفهمون أن الأدب ... هو ... لتخصصه ... ولن قصصا مثل (فاوست) و (حراث الشيطان) لا تغيب عن مخيلتي

لماذا لا نعرف شيئا عن نشأة (داغر) ولا أسرته ولا عن
داره ؟ معاذ يزوره الجميع لكن حتى لا يزوره ؟
الوغد ! لكم كان بارعا مهذبا مؤدبا كالأفعى !
كانت الساعة تدنو من منتصف الليل وكان النص قد انتهى مجرى
غير المفهومة والقط في موضعه السابق .. حين سمعت ..
متواصلا على الباب .
فوثب قلبي إلى فمي
اتجهت للباب في تؤدة وألصقت وجهي به .. وتساءلت
- من هناك ؟
كان هذا هو صوتي المرتجف .. المتوجس .. الراجع كصوت
ضحية مشنوقة
وهنا سمعت الصوت الذي سيظل يطعم كوابيسي
- إنه أنا .. (داغر) .. افتح يا (محمد) ..!

* * *

- دا .. دا .. (داغر) ؟ .. ماذا تريد ؟
قال في سخرية
- ليس لعب الشطرنج بالتأكيد .. نسيت مفاتيحي عندك
- لحظة !
ووثبت كالملسوع إلى حيث كان جالسا .. فوجدت المفاتيح التي
تحدث عنها .. غريب هذا .. أنا واثق من أنه لم توجد مفاتيح طيلة
المدة التي تلت رحيله .. هذه المفاتيح برزت فجأة !
حملتها بين إصبعين - كالثعبان - واتجهت للباب .. هل أفتحه ؟

لا أدري .. لكني - حتما - لن أتمكن من تحريرها أسفله
لكن لا مناص من فتح الباب ..
مددت يدي للقفل وأزحته في توتر
ودخل (داغر) الغرفة
كان وجهه الوسيم صارم الملامح يتلألأ بين الظلال وهو يلهث
محجرة وعيناه تلمعان ببريق غير مريح .. بريق مم..
مياااااووووو !
تشبث (جمعة) بمخالبه في الملاءة وقوس ظهره ثم وثب بطفرة
واحدة إلى ما تحت الفراش .. فقال (داغر) وهو يهز رأسه
- إن هذا القط غريب الأطوار ..
والتقط المفاتيح ودسها في جيبه .. وأردف
- هل تحتفظ بهذا الوحش الشرس في دارك ؟
كنت قد اتخذت قراري بالادعاء كي يتركني هذا (الشيء) سالما هذه
الليلة .. وإلى الغد ؛ تراجعت ثلاث خطوات
- ماذا بك يا (محمد) ؟ .. لا تبدو طبيعيا .. هل حدث
ما يضايقك ؟
كان يدنو مني في تؤدة وعلى شفتيه ابتسامة مصقولة .
- ابتعد عني !
- لماذا ؟.. لماذا لا أدنو منك ؟
كنت أتراجع للخلف محاذرا أن أصطدم بالمكتب
- ابتعد أيها الشيطان !!
ضحك والتمعت عيناه وتبدت أسنانه البيضاء النضيدة

- أنا شيطان؟ إنك تكرهني يا صديقي!

- أنت

وهنا حدث الشيء.. الشيء الذي لم أتخيله في أفظع كوابيسي

شممت رائحة غبار.. ثم هوى عرق خشبي عملاق من السقف

وتطاير الغبار الكثر.. ثم بدأ الجحيم.

الخشب تتهاوى.. الأرض تميد تحت قدمي.. قرقعة.. صخب..

صوت تهشم.. (راغب) يحاول أن يقول شيئا ثم يسقط أرضا..

عواء القط.. عواء الشيب.. رائحة عطن.. صراخ نسوة..

ثم لا شيء

* * *

في مستشفى (القصر العيني) صحوت لأجد نفسي ملفوفا في الضمادات وعشرات الأصوات تردد أن الحمد لله.. وفهمت ما هنالك

لقد انهار طابقان من المنزل المتداعي الذي كنت أسكن فيه ولم يصب - بالطبع وكما هي العادة - سواي و (داغر)

(داغر) المحروس المسكين الذي عاد يأخذ مفاتيحه دقيقة واحدة.. دقيقة واحدة لكنها كانت كافية كي ينهار المنزل فوق رأسه ومن حسن حظه أنه لم يفقد حياته.

(داغر) سليل الأرستقراطية الذي نبت برأسه السيئة فانضم إلى إحدى المنظمات اليسارية المتطرفة.. وصحبت معه أسرته تاركة إياه يمارس دور الحمار ... في بوعيه اليومي من العشر بهوة وصعهم الطبقي المستمر.. موطنه نصحهم إلى المنطقة

(داغر) الذي تلقى جراء حماقته الصبيانية فيه في صورة كسر في الفخذ والذراع وارتجاج مخ لا بأس به

الواقع أنني - في تلك اللحظة - لم أعد أمقت ذلك المعتوه إلى ذلك الحد.. طيلة حياتي كنت أتعاطف مع الفريق الخاسر

حاولت أن أكتسب صداقته من جديد.. لكنه كان قد تعلم درسا لا بأس به.. لهذا ابتعد عني وعاد لدراسته من جديد.. وإن كان قد فقد مصطلحاته أو لم يعد يعبأ بها.. ثم أن البوليس السياسي، سيصادفه بعض الوقت بعد شفائه نهائيا من إصابته

* * *

وفي المستشفى زارتني (آمال) وأمها.. وكانت ستمضي بعض ركبت الأم قد اعتنت بي بعض الشيء والأزرار.. كأفضل هدية تعرفها مريض.. ولم تكن محطمة تماما في هذا

لا تتصور كم يحاول أن أطيب أمكن أعداد ترميمه.. فلم يعودوا بلا مأوى.. والسبب أغلظ الأيمان أن أكل تفاحهم في فراشي

ثم اقتربت مني (آمال) تجيبت سؤالها عن حظي وعن العزيز (جمعه) الذي كان شريك حياتي مدة وجيزة.. ثم وعدتني بعدها بكل ما هو رائع

- فلك بخير يا سي (محمد)

قالتها (آمال) في نعومة.. مما جعل وجهي يتهلل طربا غير مصدق لما تقول... فردت مبتسمة

- إن الحيوانات تشعر بالخطر قبلنا.. لهذا نجا بعمره في تلك الليلة

شرد ذهني وأنا أتوك الآن إلى أحداث الأمسية .. هروب القمر وتوتر القط وذعر الكلب . كانت تشم العطر وتتحرك صده

لكن - كما هو واضح - أسات فهم رسالتي وحسبت زائري المقتحم نوعًا من الـ

إن مشاكلي لم تنته .. بل - بالأحرى - بدأت

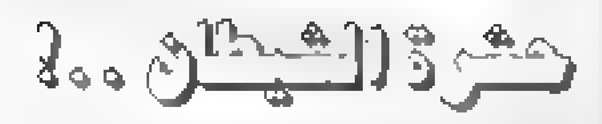
لكني أملك هدفًا .. وأعرف كيف أحقق هذا الهدف .. لا أذكر ك من عظماء التاريخ قد تنهارت غرفهم فوق رءوسهم .. لكني واثق من أنهم كثيرون .. وعما قريب سيفخر كل معارفي أنهم عرفوني .. وأنهم تعصروا في الأرز والطعام حين كنت مريضًا جائعًا محطمًا .

سيكون الغد حافلًا .. وفيه كل شيء ممكن

أما اليوم ، فلأنم ملء جفوني

* * *





يحكيها : د. (رفعت)

- ١ -

كانت الساعة هي الثانية بعد منتصف الليل

لقد هدأت الامطار المصطدمة بزجاج النافذه لكن العواصف مستمرة

وكنا جالسين نتحدث عن قصة د. (محمد)

قال (عادل) في تهكم وهو ينهض ليزيح ستائره لتمسحتين

- مرة اخرى تخدع يا د. (محمد) وتعطي صبغة غير عادية لامور عادية تماما هي تذكر قصتك مع اكل لحوم البشر .

- إن ما حدث كان خديعة لكن رعبه كان حقيقيا

قالها (شكري) وهو يدون بعض الافكار في (جندة) صغيرة ثم انه نظر لي متسائلا

- والآن . قصتك يا د. (رفعت)

نهضت ووضعت يدي في جيبي وتفكرت حينا ثم غمغمت

- لا ادري حقا إن لدي عشرات القصص لكنها جميعا طويلة ولن تترك مجالاً لراو آخر .

ثم تذكرت شيئا .. (يوسف) .. وحشرة الـ (تثروفاجا)

و كيف نسيت هذه القصة ؟! كيف ..؟

رفعت رأسي في تؤدة وقلت

- حسن هناك قصة قصيرة نوعا ولربما شوقتكم لكن عدوني اذا شعرتم بالملل ان تخبروني بذلك لا احب ان اكون سمجا او ثقيلا

- غريب ان تقول انت بالذات هذا !!

كانت هذه العبارة بالطبع صادرة من خصمي الطبيعي (شكري) لكني تجاهلته وبدأت اروي قصتي للاناس المحترمين الآخرين

* * *

قلت لهم

إن اشد ما يثير رعبي لهو الجهل بالخطر وفي كل قصص (ردد عبارتي الخالدة) (بم لكي اعرف ذلك لاني كنت ساذجا ساذجا) مقبلو محطة نخول (ذات الرداء الاحمر) لجسمه التي لا تعرف انه ذئب متنكر كلنا يعرف ذلك لكنها لا تعرف حتى نكاد نصرخ اهربي اهربي لكنها - بالطبع - لا تسمعنا

(جوناثان هاركر) يزور قصر (دراكيولا) وهو الوحيد الذي لا يعرف من هو (دراكيولا) رائحة الكبريت انبعثت من (كاترين) في القبو المظلم لكني لم اربط بين ذلك وبين مصاصي الدماء .

وفجأة تلتمع الحقيقة كضوء شهاب

ويدرك بطل القصة - بعد فوات الاوان - أنه في مأزق حقيقي

عندئذ تولد ذروة القصة ..

* * *

كنت ادخر هذه القصة لاحكيها لقرائي لكن لما كانت القصص من تلازم فلنبس سأحكيها لكم الآن في حلقة الرعب الوليدة هذه

كان ذلك في عام ١٩٦٤ .

قابعة في الطريق العام في مكان ما من شارع (شريف) ؟

هل كنت رائحا أم غاديا ؟ مكتئبا أم متفائلا ؟ [illegible] عزيز الشعر ؟ لا أذكر [illegible] وبيننا [illegible] أمامي كوب من الكركديه

كان يبدو من ملامح الإعياء وبثر العرق المتحدر جبينه وموضع شاربه وتحت إبطيه، وكان يرتدي قميصا صيفيا واسعا ويمضغ ربما [illegible] الخلاصة التي استشعرت أن حواله على غير ما يرام

سددت أمامه الطريق بجسدي ورسمت الفم بسمات [illegible] سجنتي. فرفع نحوي عينين مذعورتين كما [illegible] من كوى آخر سحيق

وللحظة احتشد للعدوبة ثم بدأ يتذكر

- (رفعت) .. (رفعت إسماعيل) ..!

- (يوسف) .. (يوسف شوقي) ...!

- يا لك من وغد قديم !

- ما زال لسانك يقطر عطرا ...!

هل تعرف هذه اللحظات الخالدة ؟

لحظة لقاء صديقين قديمين حين يتهاوى [illegible] الأعوام [illegible] وحين يبدأ - تلقائيا - لحظة الحساب .

- ماذا فعلت أنا ؟ وماذا حققت أنت طيلة هذه الفترة ؟

كم من الأحلام أثمرت شجراته وكم ذبل ؟ أية أمراض [illegible] تصيب مثلك وأصابتك ؟ ما أسماء أطفالك وهل هم حقا موجودون أم أنك لم تنجب بعد ؟ هل ارتفعت خطوة أم هبطت خطوة أم ما زلت كما أنت ؟

وكالعادة تم الاتفاق على اللقاء ..

أعطاني ورقة صغيرة متسخة رسم فوقها - كيفما اتفق - كروكيا لبيت مكان [illegible] ودعاني إلى أن أزوره [illegible] وليكن ذلك غدا إذا شئت

وفي الموعد كنت هناك حاملا علبة صغيرة من الشيكولاتة وربطة من الكركديه [illegible] أفهم هذه النوعية من الأمسيات [illegible] سيعرفني على [illegible] بدينة متشككة يقول لي إنها (المدام) وعلى مجموعة من الأطفال الوقحين الذين يصبغون الميركيوروكروم على ركبهم وسوف يقدم لي زجاجة مياه غازية وقدح شاي ولربما بعض (الجاتوه) [illegible] ثم نمضي الوقت في كلام من نوع: هل رأيت فلانة ؟ أين فلان ؟ هل تذكر كذا وكذا ؟ كانت أيام رائعة ليتها تعود [illegible] ثم نفترق على وعد بلقاء آخر، وكالعادة لن يكون هناك لقاء آخر

هكذا تمضي الأمور دائما

ليس من [illegible] متوقع أكثر

لأنه لن يكون هناك أكثر

* * *

كانت شقته تنم عن ذوق رائع

ودون جهد أدركت أنه غير متزوج

لا تستطيع زوجة أن تنسق شقتها بهذا الذوق الرائع، دعك من أن الأطفال لن يدعوا حجرا فوق حجر

السؤال الوحيد هنا هو ذلك التناقض ما بين ثيابه الرثة وشقته الفخمة المريحة للأعصاب .. كيف ذلك ؟ وما سر عدم زواجه حتى تلك اللحظة ما دام غير مجنون مثلي ؟

إن الإجابة آتية لا ريب فيها ..

أما الآن .. فلألعب دور صديق الصبا الودود

إن (يوسف) يحتاجه لسبب لا أدري كنهه .. وعليّ ألا أخيب ظنه

* * *

جلست في غرفة الصالون على حين أخذ يصدر أصواتًا تدل على الترحيب والحماس

ثم إنه أحضر لي صينية عليها زجاجة مياه غازية .. وهو يثرثر عن أصدقاء الصبا ويسألني عن سماء عتيدة .. وعن مهنتي وعن رحلاتي .. وعن كل شيء

- (رفعت) .. إنني بحاجة إليك ..

قالها - دون مناسبة - وكنت أتوقعها تمامًا .. ثم انفجر في البكاء دون أي مبرر .. وأنا لا أحتمل هؤلاء السخفاء الذين يبكون فجأة فهم يجعلون الحياة غير محتملة ..

لكني نهضت نحوه وقمت بواجبي تجاه صديق يبكي

قدمت له منديلي ثم عدت لمقعدي وشرعت أدخن وأرمقه في دهشة . تمخط في المنديل - لعين ! - ثم أعاده لي شاكرًا فطويته ودسسته في جيبي مشمئزًا

- معذرة يا (رفعت) .. كل ما في الأمر هو أنني

- نعم .. نعم .. تشعر بالوحدة .. هذا واضح ..

- كلا .. أنت لا تفهم .

ثم جلس جواري وحدق في عيني بعينيه المذعورتين اللامعتين في حجم وجهه النحيل - كأنهما ثقبان في كرة من الصلصال - وجفف العرق عن جبينه وبدا يلهث .

- إنهم خلفي ..!

- حقًا ..؟!

قرب وجهه من وجهي .. وهمس في جزع

- سيمسكونك .. إن هي إلا دقائق .. ساعات .. أيام ويجدون مكاني وعندئذ

- وعنـــدئذ

- عندئذ سيفتكون !

الآن اتضح لي الأمر .. أن أعرف هذه السمات وأفهم هذه النغمة بسبب ولقد سمعتها مرارًا من قبل .. حين دعاني (يوسف) إلى داره كنت بداخله يعطي لي ما هو أفضل من (البارانويا) [*] نكهة - للأسف - لم يكن يملك سواها .. وها هو ذا يردد نفس الكلمات التي سمعتها في كل حالة من (الآخرين) الذين يبحثون عنه ويراقبونه

يجب أن أتصرف .. ولكن في سلاسة لأن مريض (البارانويا) مرهف الحس ويمكن أن يغدو عدوانيًا .. كما أنه في أقرب فرصة سيعتبرني (منهم) مما يجعل بقائي وحيدًا معه خطرًا لا بأس به

- يفكرون ماذا ؟

(*) جنون الاضطهاد



الآن اتضح لي الأمر ... أعرف هذه السحابات وأفهم هذه النعمة

- .. يتذكرون أنهم السبب في وجودهم !

- .. فهمت !

ونعمت في سري أعباء المصدقات القديمة

هاذا ... بعدما ... كنت قد بت صديق قديم وجسمه قد غدا لحما وفضلا او مجموعة ؟"

كان يجفف عرقه في عصبية ويقول

- في كل مرة يجافي النوم عيني وادعو الله الا تكون هذه هي الليلة المحددة

هرشت عنقي في مودة ثم قررت ان اجازف

- آه يوسف ! ... لماذا لا تتحدث بالتفصيل ؟ ... انت تتصرف وكأنني على علم مطلق بكل ما تقول

- حقا ؟

- ان كلماتك المبتورة تدعوني لإساءة الفهم كما ترى

- وتظنني معتوها ؟

هززت رأسي محاولا ان انفي ذلك ثم وجدت الا داعي لذلك . فهو مهتاج ومستاء ولن يفيده بشيء ان افكر

قال في لوعة :

- لا الومك كثيرا ... انا نفسي لا املك الثقة الكافية كي انفي ذلك او اؤكده . واحيانا ما احسب كل ما مررت به كابوسا ثقيلا ... ولكن لماذا لا احكي لك كل شيء بالتفصيل ؟ ... هل انت مربوط بموعد آخر ؟

- بتاتا

- اذن سأحكي لك كل شيء

* * *

سأحاول هنا أن أكون دقيقًا وأن أحكي كل ما قاله لي على مدى ثلاث ساعات . بالطبع هناك تفاصيل منسية لكنها - أو هذا ما أرجوه - غير جوهرية في قصتنا

حدثت قصته في عام ١٩٥٧

في ذلك الوقت لم يكن (يوسف) في (مصر) بل كان موفدًا إلى (ألمانيا) في رحلة دراسية بغرض الحصول على درجة علمية في الآفات الزراعية ومقاومتها ... تلك الدرجة التي - لأسباب سنعرفها فورًا - لم ينلها قط

كان الفتى منبهرًا تمامًا بكل شيء

وخاصة بأستاذه المشهور (أوبرمان) الذي أوشك تصور البعض أنه يعرف كل شيء عن أي شيء يخطر لك

وكان فريق عمل مكونًا من عمالقة العلم مجتمعًا في ذلك المعمل قرب (لايبزيغ) عاكفًا على دراسة الاحتمالات التي لا تنتهي للتوازن البيئي ... والسيطرة البيولوجية على الآفات

حين يعج بيتك بالفئران يمكنك دائمًا أن تبتاع سمًا ... لكن الحل الأمثل للطبيعة هو أن تبتاع قطًا . وفي (مصر) يلتهم سمك المبروك قواقع البلهارسيا - أو هذا ما يحاولون عمله - ويلتهم سمك الـ (جامبوزيا) يرقات البعوض ... وهكذا تعالج الطبيعة نفسها بنفسها

لكن التوازن الطبيعي لعبة خطرة .

ففي بعض ولايات الهند - على سبيل المثال - اعتادوا تربية الوطاويط لتلتهم الفئران ... لكنهم - بعد أعوام - ألفوا أنفسهم أمام وباء حقيقي من الوطاويط

كان العلماء الألمان يحاولون الحصول على أفضل شيء من القوانين البيولوجية دون أن يمسوا توازن الطبيعة

وهم يلعبون على ورقة رابحة اسمها (قانون الانتخاب الطبيعي)

لم تكن الهندسة الوراثية متقدمة في ذلك الزمن السعيد ولا كل تلك اللعب بجينات بكتريا (إ. كولاي) الشريرة الذي نسمع عنه اليوم

لهذا كانوا يعتمدون على قانون الطفرات ... وعلى قابلية الصفة وليدة الطفرة على الاستمرار في عدة أجيال يصير كلها بالتدريج حاملة لهذه الصفة

وعن طريق توليد عدة أجيال ترسخ الصفة وتتم تقويتها وإضافة ما يلزم لها ... ولو أن مثل هذه التجارب تجرى على بشر لاحتاجت ملايين السنين حتى تظهر نتائجها ..

لكنهم كانوا يتعاملون مع نوع من الخنافس تشبه خنفسة (أبو عيد) المعروفة عندنا ... ومعها يمكنك إنتاج عدة أجيال في شهور

كانت سلالة جديدة قد بدأت تنشأ لا علاقة لها بالأجداد ... وانطلاقًا من ولع العلماء بالأسماء المعقدة والرطانة فقد أسموها بالاسم اللاتيني (إنسوفاج) . وهو - لمن يهمه الأمر منكم - خليط من مقطعين لاتينيين معناهما (آكلة الحشرات)

نعم ... هذه الحشرة الوليدة تأكل الحشرات الأخرى التي قد تتطفل على المزروعات . إن (الإنسوفاجا) أمينة على النبات ... شرسة مع أية حشرة لصة تسول لها نفسها الآثمة أن تسطو على الحقول

(الانتوفجي) تتوالد كالأسماك ـ او اسرع قليلا ـ وحركتها
سريعة وشهيتها جامحة .. ولونها اخضر تعجز الطيور عن تمييزه
واصطيادها .. وفي حالة سقلات عيارها يمكن القضاء عليها بجرعه
صغيرة من اي مركب فوسفوري عضوي .. جرعة لا تؤذي اي كائن
اكبر منها

ان الـ (انتوفجي) هي الحل السعيد لكل مشاكل الزراع

لكن الألمان حذرون ولا يدعون شيئا للمصادفة .. وهم لن يعمموا
الفكرة قبل تمحيص لا بأس به لعشر سنوات على الأقل لانهم يعلمون
ان الخلل البيولوجي يكون في الغالب فادحا عسير الإصلاح

والبحث العلمي هو نوع من اللحوم القاسية الالياف التي يجب ..
تطهى على نار هادئة لساعات طوال قبل ان تقدم للآكلين

لكن (يوسف) كان عجولا

وكان ـ كما قلنا آنفا ـ منبهرا بكل شيء

لهذا شرع في غرفته الصغيرة الانيقة يصغي لموسيقا (باخ)
السماوية ويحلم بما يمكن أن تحققه هذه الحشرة في (مصر) .. ان
يأتي اليوم الذي تبيد فيه هذه الحشرة ديدان القطن بعبع زارعي القطن
ومصاصة دماء الاقتصاد المصري .

ان تملأ هذه الحشرة حقولك لاعبة دورها الهام بإخلاص وامانة
ودون كلل .

إنه المجد

* * *

بمرور الوقت بدا الاستاذ (ويرمان) يلاحظ تبدلا في تركيز
ومواظبة تلميذه .. انت تعرف كيف يبدو الإنسان الذي استبدت به فكرة
واحدة وكيف يتصرف .. ها هو ذا (يوسف) يكف عن البحث في
المراجع المطلوبة منه .. ولا يدون الملاحظات .. ويتأخر في
الاستيقاظ صباحا

ثم انه يحوم ـ اكثر من اللازم ـ حول معامل التحكم البيولوجي
حيث تجري تجارب (الانتوفجا) التي لم يكن له دور حيوي فيها

ولعدة مرات انذره الاستاذ

وبعدة مرات توسل له (يوسف) ان يعطيه دورا اكبر في تجارب
هذه الحشرات . لكن العالم الالماني كان صارما لا يتزحزح

وبدأت الخطة تختمر في ذهن (يوسف)

انه الآن ـ بعد ستة شهور ـ على خبرة لا بأس بها بما يفعلون
وهو قادر على البدء في تجربته الخاصة في هذا الصدد .. فقط
شراء بعض البويضات وعدة حضانات توفر الظروف البيئية المثلى
فقط . على ان (الانتوفاجا) كانت حشرة قوية يمكنها ـ
كما سمعوا ـ ان تعيش في ظروف قاسية جدا سواء في القيظ او
البرد .. ولم تكن ثمة حاجة للتحذلق المعملي

وهكذا

طلب إجازة من هيئة البحوث ليعود فيها إلى (مصر)

ثم انه تسلل للمعمل ونجح في نقل بعض الشرائح الزجاجية
التي تراصت فوقها البويضات إلى علبة صغيرة مغلقة ومبطنة
بالقطن الطبي

واعد حقائبه وودع اساتذته مؤقتا

لكنه – هو وحده – كان يعرف انه لن يعود ابدا

* * *

كانت شقة صغيرة في (بنها) في دار ، حيث يعيش وحيدا .. وهو في هذا يشبهني كثيرا .. إلا انه يختلف عني في ان فكرة ضخمة صاخبة كانت تنسيه هذه الوحدة ولا تدع له وقتا لأي شيء سواها

إن الافكار المصطخبة في رأسه كانت تجعل شقته مزدحمة .. وكان يثرثر مع الاحلام .. ويتشاجر مع مخاوفه .. ويضحك من دعابات لم يفهمها احد ..

هل جن ؟ لا .. لا اظن ذلك .. لكن كل الظروف كانت مهيئة لذلك لو لم يجد ما يشغله فلا يترك له وقت للجنون

وكانت الحشرة هناك

الحشرات اللامعة خضراء اللون شديدة الاناقة التي غمرت بويضاتها لتوها كي تتعرف جدران معمله والاقفاص الزجاجية المصنوعة التي اعدها لها .. وتلتهم الذباب والصراصير وبيض القز التي كان يأتيها بها .

كان يعرفها حشرة حشرة حتى ليكاد يطلق عليها اسماء صغيرة ويقول (يوسف) – ولا ادري كيف – انه بدأ يفهم ان لكل حشرة شخصية متميزة وشكلا متفردا يعرفها عن زميلاتها .

ومضت الايام

وبدأت الاناث تنتفخ بالبيض ثم تتحرك في تؤدة وثقة كي تضعه

في صفوف متراصة على ألواح الزجاج الرقيقة المثبتة افقيا في الاقفاص

وهكذا ولدت السلالة (١ – ١) اولى سلالات هذه الحشرة في (مصر)

وما ان اشتد عود الصغار حتى نقلها الى قفص زجاجي آخر وشرع يعرضها لمؤثرات بيئية قاسية .. في البدء عرضها لدرجات حرارة مرتفعة يوما بعد يوم .. وكما هو متوقع هلك اكثرها لكن ما بقي منها كان قادرا على تحمل درجات غير واردة اصلا

ثم جاء الجيل التالي (١ – ٢) قادرا على ذلك كله

وشرع في كل يوم يبتكر مشكلة جديدة او عائقا من نوع آخر وذلك حتى وصل الى الجيل (١ – ٥٨)

التقط بالتحديد واحدة من الحشرات وطفق يتأملها

كانت مختلفة تماما عن الحشرة الاولى التي استعارها من معمل البحوث الالماني حتى كأنها نوع آخر مستقل تماما

كانت اضخم حجما .. ولونها يميل الى الحمرة .. ومنظرها غير مريح على الاطلاق .. وكانت تئز بصوت رتيب مزعج

لكنها كانت (ابنته) .. وكان يحبها كما يجب ان يحب ابنته

مد يده في رفق لمسها

فتحركت في حذر وصعدت على انامله .. واحس بها تتلمسه بفمها

كانت لمستها قاسية .. لكنه تقبلها في استمتاع بنفس الطريقة

التي تتقين بها انثى الذئب عضات جروها الحانية لاتنبيه

ـ إنك قد صرت شرسة يا فتاة .. هيا إبرلي !

قالها وهو يمد يده ليلتقطها حيث وقفت فوق كف يده الأخرى

لكنه فوجئ انها متشبثة .. متشبثة إلى حد انه قاتل قتال الشهداء كي ينتزعها من لحمه .. وحين استطاع اخيرا وجد خيطا من الدم يسال من بقعة حمراء صغيرة في كفه

ـ إذن انت تحتاجين إسما آخر

ووضع قطعة قطن على موضع النزف مفكرا

ـ (اشروفدها) .. آكلة الأمساد ! .. نعم .. هو كذلك ! هذا الاسم يلائمك تماما وانت السبب في ذلك ولا احد سواك !

وهكذا ..

مضت الايام في سلام

إلى ان حدثت الكارثة التي يتوقعها ويعرفها ويخشاها كل عالم تمضي بحوثه دون مشاكل .. لابد من مصيبة ما

وكانت هذه المصيبة في حالتنا هي عربة رش المبيدات التي تجوب الشوارع في وقت الغروب ، وكان معمل (يوسف) مفتوح النوافذ في تلك الآونة طلبا للتهوية .. وكان هو عاكفا على تشريح إحدى حشراته تحت المجهر حين سمع صوت الموتور المألوف .. وإمتلأت الغرفة بضباب الـ (د. د. ت) طيب الرائحة شديد السمية حتى ان (يوسف) لم يعد قادرا على رؤية كفيه .. كفيه اللذين راح يلوح بهما في هستيريا محاولا إزاحة الدخان صارخا كالملسوع

ـ توقفوا يا اولاد الـ (.....) .. ! توقفوا ! .. إنكم تقتلونهم

كي يعرف تماما ما سيجده عند انقشاع الضباب لأن الأقفاص الزجاجية كانت كلها مفتوحة من اعلى

يا للكارثة ! .. يا للخسارة !

في كل الأقفاص كانت (بنانه) منقلبات على ظهورهن وقد نفقن مدحسهن .. عشرات الاجيال .. ممات للحشرات .. انه لم يتصور ان في العالم كله مشهدا بهذه القسوة والبشاعة .. كل المجهود المضني الذي ضاع هباء

لم يعد يرى شيئا لانه كان يبكي

الدموع تشوه الموجودات .. وتسيل من انفه فيحتوي سعفها بشهقات قصيرة متوالية

على الارض تربع ممسكا برأسه بتشنج

وفجأة سمع الأزيز

وثب على قدميه كالمسوع الى مصدر الصوت

ولدهشته وجد عددا من الحشرات من سلالة (أ ـ ٨٥) .. عدد لا يتجاوز العشرين .. وكانت حية .. واهنة ضعيفة لكنها حية

يجب إخراج هذه المخلوقات إلى الهواء الطلق

إن الخيط لم يفارق أناملها بعد .. ويمكنه ان يجذبه ويعيد لفه حول إصبعه ..

وفي حماس تخلص من الحشرات الميتة وبدأ يعد المكان لإحتضان هذه السلالة العجيبة التي سره ان وجد بين افرادها خمس إناث

وهو يشعر بتقلق

ومود اى مصرخ فى (يوسف) الا يعمل
لقد تحملت هذه الحشرات جرعة قاتلة من الـ (د . د . ت)
وهذا يعنى انها صارت منيعة تقريبا وستورث هذه المناعه
للاجيال التالية
لكن (يوسف) لا يعلم ولا يتوقع شرا ..
وهذا هو بيت القصيد

* * *

تتمع ضوء البرق الفضى فاستكرنا فى موتر برمق ستائر النافذه وشعرنا بالقشعريرة ..
قلت معلم (ثريا) وقد بدا جفنها يزدادان ثقلا
ـ هل يرغب احدكم فى النوم ؟
كى حديثى موجه نعدد محدود منا لان رأس د . (محمد) كان قد يهوى فوق صدره وتعالى صوت غطيطه . وكذا الفت (سهام) رأسها للوراء وفغرت فاها . اما (عادل) فكان يرمقنى بعينين دمويتين يكاد الدم يتفجر منهما لولا غشاء الملتحمة الرقيق
ـ قصتى ـ كما هو واضح ـ لم تلق حماسا كبيرا
لكن ما عزانى كان هو د . (سامى) بجسته المهشمه المحطمة و (هويدا) التى تحمست للامر كانما انكسر ظهرها مصطبين وقد راحت بقلبها على قصتها ..
دعك من (شكرى) السودانى المتحمس المستعد فى أية لحظة حضرى
قال (شكرى) وهو يأخذ سيجارة من علبتى
ـ إنها قصة لا بأس بها حتى الآن وهى تلعب على الوتر الاغريقى القديم الإنسان الذاهب فى إصرار احمق إلى نهايته
ـ إنه الافتتان الانبهار الفضول الذى جعلنى اصر على استكمال تجربة مصاص الدماء وأقبل تشريح مومياء الفرعون
يبتسم (شكرى) فى غموض وغمغم

ـ الواقع يا د. (رفعت) أن المسألة ... ويمكن ...
بعضها إلى مبلغ لا بأس به ...
ـ أشكرك ... لكني ... بعض ... الآخر
قال د. (سامي) وهو يتمطى
ـ أكمل يا د. (رفعت) عن أن ... خيوط ...
النعاس يهاجمه وهو كمن ... كل شيء

* * *

أين قد توقفت ؟
... عند السلالة التي نجت من المبيد الحشري ومحاولة
(يوسف) أن يبدأ كل شيء من جديد
لقد استغرق الأمر عدة شهور
إلا أنه ـ وبعد جهد مضن ـ استطاع أن يحصل على السلالة
(ا ـ ٦٠) تلهو في قفصها الزجاجي
لقد تغيرت هذه الحشرات كثيراً جداً
لونها أمسى إلى لون الدم ، وحجمها يقارب حجم الجرادة
وشراستها كسمكة قرش ... صحيح أن تغير لونها أفقدها ميزة
هي (المحاكاة) أو بمعنى آخر قدرتها على الاختفاء وسط خضرة
المروج بعيداً عن عيون أعدائها الطبيعيين ... الطيور
لكنه بدأ يعتقد أن الطيور ... عن ...
اشتهاء هذه المخلوقات البشعة

* * *

لكن هذا هو يوم الجمعة
وبعد سهرة طويلة مع أوراقه وملاحظاته ... فراشه لينام
كم نام بالضبط ؟ ... لا يذكر
لكنه ... صوت أذان الفجر ... يتسرب عبر مصراع النافذة
حين سمع ذلك الأزيز المألوف
أدرك (أنهم) في مكان ما من الغرفة معه
وحين مد يده لمفتاح الكهرباء ... وحين فتح عينيه في دهشة ،
وحين نهض من الفراش بحثاً بنفسه عن ...
كان يتوقع كل شيء سوى ما رآه
لم تكن هناك واحدة منها ولا اثنتان ... بل عشرات
عشرات الحيوانات الحمراء فوق الدولاب وعلى السجادة وفوق
السرير وتحت الفراش ... وكانت تموج بالحياة والصخب وتتحرك
بخفة هنا وهناك ... وتتزاوج ... وتلهو ... وتستكشف المكان
فرك عينيه متوقعاً أن يصحو من الكابوس غارقاً في العرق
لكن كل شيء ظل كما هو ..
كيف غادرت هذه المخلوقات أقفاصها ؟ ... وكيف وصلت هنا ؟
لقد صار الأمر خطيراً ..
هرع إلى الغرفة التي اتخذها معملاً وأضاء النور ليجد أن السلالة
(ا ـ ٦٠) هي التي غادرت قفصها الزجاجي ... الغريب في
الموضوع أنها استطاعت بشكل ما أن تزحزح الغطاء الثقيل وتتسلل
من تحته مغادرة سجنها ... والأغرب هو أنها عرفت طريق غرفته
مسترشدة بالرائحة أو الإدراك فائق الحس لا يدري بالضبط



خلع يوسف خفه بهمة ليضرب أكبر عدد من هذه الحشرات

وهوى به على مجموعة منها

لقد تفوقت هذه الحشرات على نفسها

وكأي مصري صميم يجد جيشا من الحشرات على باب دولاب غرفته ، خلع (يوسف) خفه بهمة ليضرب أكبر عدد من هذه الحشرات .. وهوى به على مجموعة منها

لكن ما حدث كان عجيبا

وكأنما بضربة صفحة الحذاء .. انسحبت دوامة من الحشرات بلمح البصر تاركة قلب الدائرة فارغا حيث يهوى ضربه .. فما إن رفع يده حتى التأمت حشود هذه الكائنات في ثقة وعادت تمارس حياتها .

جرى كالمجنون إلى زجاجة المبيد الحشري التي يضعها تحت الفراش وبدأ يطلق الرذاذ السام على هذه الحشود .. لكن النتيجة كانت سلبية .. وكأنما اعتادت الحشرات أن تستحم قبلا بهذه المادة عطرة الرائحة

المشكلة الأدهى كانت هي أن هرس هذه الكائنات مستحيل .. فلو لم تراوغ .. تبقى طبقة أو طبقتها (الكيتينية) المانعة لها صلبة جدا

وكأنك تحاول هرس بارجة حربية

وهكذا لم يبق أمامه سوى أن يجلب دلوا ومكنسة طويلة يسقط ما تيسر من هذه الحشرات في الدلو توطئة لإعادتها للقفص الزجاجي

عملية مملة مرهقة .. استغرقت أربع ساعات من الجهد المتواصل

إلا أنها انتهت أخيرا ، وأمكنه أن يعود للنوم في غرفة خالية من الأزيز

هذا ـ بالطبع ـ بعد أن تأكد من إحكام غلق القفص

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يمنح فيها بعضهن لحضور وسط ظلمات غفلته

* * *

لكنه نسي (عبد العزيز)

و (عبد العزيز) ـ إن لم تكن تعرف ـ هو الخادم العجوز الذي يبتاع له حاجيات السوق وينظف المعمل يوميا ثم يغادره في الظهيرة ويتقاضى خمس جنيهات في الشهر

ومن الإهانة تذكيركم أن قوى (عبد العزيز) كانت مصروفة دخول المعمل رغم علمه بما يدور فيه ... (يوسف) ... بنفسه إلا أنه ـ في الصباح التالي ـ وجد المعمل في حال يرثى له من أثر أحداث الأمس ... حال لا يمكن تكذيبها

لهذا طلب من العجوز أن يعالج الأمر بحكمة ... وهرع ... الشرطة يبحث ويرسل العالم بعيون لا ترى

ثمة شيء يحدثه أن الأمور لا تمضي كما يجب

إن هذه الحشرة توشك أن تكون منيعة

وسلوكها الجماعي يثير حيرته إلى حد غير عادي

إنها ذكية ... شجاعة ... لا تتصرف بدعر الحشرات التقليدي

فما معنى هذا ؟

يوجد حل واحد ألا وهو التخلص من السلالة (...) ... عن طريق دفنها ... ويحاول أن يبدأ من جديد باحثا عن جدار ... واضعف لها

... هو كذلك ...

و ...

بحث من الشرفة قاصد المعمل صائحا للخادم العجوز

ـ (عبد العزيز) ... ألم تنته بعد ؟

ـ يرجى ... وهذه هي مشكلة الشيوخ ... كلهم مصابون بنصب ... لاكن ... وصمم الشيخوخة

ـ (عبد العزيز) !! .. أين أنت ؟

وفي مودة بحث من باب المعمل مواصلا النداء

ـ (عبده) !... هل توفاك الله ؟

ـ يبدو أنها إلى أي حد كان صادقا

... ـ ... المنضدة ـ وجد أسير كرابيسه وقد محقق

... المشهد ... نكمكم تستطيعون أن تتخيلوه

وتستطيعون أن تتخيلوا وجه (يوسف) في اللحظة التي أدرك ... أن ... قد جنبه نفسه

و ... كارثة

* * *

ـ ٣ ـ

الحيـرة !

الحيرة القاسية نحو ما ينبغي عمله وكيف الخروج من ورطة هذه

ليس من المستحب ان يجد البوليس هذا المشهد لان تفسيره ستكون عسيرة بعض الشيء

ونظرا إلى مسرح الاحداث به ليفهم كنه ما حدث ، واتضح هنا ان الحشرات جذبت كم العجوز واسقطته ارضا فالعجوز يكسر قلما زجاجيا عن طريق الخطأ كما قد يتبادر لذهنكم

نعم لن احكي التفاصيل لان هناك سيدات بيننا لكني سأكتفي بالقول ان (يوسف) اصابه الهلع الهلع البرى الوحشي فلم يدر ما يجب وما لا يجب .

كل ما فكر فيه هو زيادة هذه الكوابيس مع اثر جريمتها

ـ سامحني .. قال بضيرك هنا ..

قالها موجها كلامه للعجوز الذي كان يعرف انه لن يسمعه وهرع إلى المطبخ ها هي ذي زجاجة الكيروسين وعلبة الثقاب وبدا يسكب السائل على الحشرات وعلى الجدران على كل شيء في المعمل

ثم اسقط موقد (بنزين) على الارض واشعل الثقاب و فر من الشقة مسرعا بعد ما اغلق بابها

وفي بئر السلم دخن سيجارة بعد ما رجفه وقلب واجب ثم عاود الصعود ليجد ـ كما توقع ـ الدخان خارجا من اسفل الباب

وخرج الجيران ليروا ما هنالك وشموا رائحة الدخان فوجدوه يصيح بباب الشقة عن العجوز (وكان دموعه جعلته لا ممثلا) ، ... بعضهم سند عن رجال الاطفاء الذين اقتحموا الباب

لقد اتت النيران على كل شيء

وفي المعمل سلاسل تراب رماد لم يعرف احد كنهه وكيف لهم ان يعرفوا ان هذه الاجسام السوداء هي ما تبقى من السلالة (ـ ٦٠) ؟

وحتى تقرير المعمل الجنائي لم ير في القصة كلها سوى حادث عجوز نسي ان يطفئ موقد (بنزين) مشتعلا على الارض ولم يدرك ما حدث إلا بعد فوات الاوان

نموذج اخر للاهمال الموصوف في حياتنا

... (يوسف) ، فقد ترك كل شيء خلفه وجاء يعيش في القاهرة ، ولا داعي للقول انه صار عظاما بشريا

سيظل شبح العجوز يطارده ومشهد محضره البشع وكل ... تلك من ملابسات درامية ..

لكن ابدا معالي رحيم وسيظل به اكتويه وطموحه المدمر ما دام ... البشرية من هذا الكابوس البشع

... كذلك يعز له جريمة حرق حشرات حية وهو يعلم انه لا يحرق بالنار الا خالقها لكنه لم يكن يعرف ابدا وسيلة اخرى لتدمير هذه الكارثة البيئية التي اوجدها

كان بحاجة لهذه الايام التي لا تقدر بثمن

للنسيان

* * *

وفي شقته الجديدة بدأ يمارس حياة رتيبة
واخذ يكسب عيشه عن طريق العمل كمحرر علمي [illegible]
الصحف ، يرسل لها اخبارا من نوع (دواء جديد للسرطان)
و (ابتهجت مشكلة الصلع)
الى اخر هذه السخافات التي لا يمكن الامساك بها ابدا
اما هوايته في ساعات فراغه فكانت هي تحقيق طموح [illegible]
ان يصير بدينا كالفيل ! وقد بذل كل مرتخص وغال من [illegible]
الطموح حتى برز كرشه وصار كرة من الزبد غريبة [illegible]
متلاحقة الانفاس
وهكذا
كانت الايام تمضي وجذوة الذكرى تخبو وسمعته تزداد
ومقالاته تتوالى
الى ان ظهرت الحشرة

* * *

جالسا في غرفة مكتبه سمع الأزيز اولا
الأزيز الذي جعل شعر رأسه ينتصب وامعاءه تتقلص
شيء واحد في الكون يمكنه اصدار هذا الأزيز وهو لن ينساه
ابدا
نهض في توجس إلى الشرفة الموصدة وارهف السمع ثم انحنى
على ركبتيه ودقق البصر ..
ها هي ذي ..

كانت منهكة خائرة القوى لكنها هي هي
وقد تمكنت من الزحف تحت (شيش) الباب داخلة إليه ، ولكن
ليفحصها اولا
[illegible] هي تلك [illegible] الحشرة الوحيدة ووضعها على مكتبه
يفحصها في توجس [illegible] لا يخطئ هذا الشكل وهذا اللون انها
واحدة من سلالة (إ - ٦٠) المشؤومة
لقد بحثت عنه ووجدته
[illegible] بحسه لا [illegible] عثت [illegible] مهتدية برائحته [illegible]
[illegible] في شبه العلث ..
[illegible] انها قطعت هذه المسافة الشاسعة كقط اليف يقطع البلدان
[illegible] صاحبه لم تنسه بعد كل هذه الشهور
[illegible] وجدته
[illegible] هي اين [illegible] ؟

* * *

[illegible] الحشرة كي يتأكد من [illegible] اثاره بيولوجية [illegible]
[illegible] ثم عاد الى غرفة نومه يرتجف
[illegible] يتصور [illegible] ان هناك حشرات ناجية لكن هذا حدث ومن المؤكد
[illegible] في مكان [illegible] من الشقة او
[illegible] هناك احتمالا اخر لكن يجب الاستيثاق منه
اولا ، لهذا هرع الى الحشرة وامسكها بأنامله ثم قرب عود ثقاب
[illegible] من جسدها
[illegible] لم يحدث لها شيء وظلت تحاول [illegible]

لقد كانت هناك طفرة .. وهذه الطفرة جعلت بعض الحشرات ..
طبقة كيتينية عازلة للحرارة ولا تشتعل .. وبالتالي استطاعت بعض
الحشرات أن تنجو من الحريق الكبير

ولكن هذا يعني

نعم يعني ذلك

يعني أنه لو عادت الـ (أنثروفاجا) الرهيبة فلن يستطيع أحد [illegible]
عليها أبدًا !!

* * *

قلت لـ (يوسف) ، وقد أصبح صامتًا فوق سيقان [illegible]

- إذن .. هذه الحشرات لعنة أبدية ..

مسح قطرات العرق عن جبينه وهتف

- أخشى ذلك .. وهو أنه يحب الذكاء الذي أوصى أبيه [illegible]
ولابد أنه للانتقام مني كما ينتقم الابن من أبيه الذي حاول قتله

- وكيف تمضي وقتك الآن ؟

- في الترقب ..!

تأملته في شرود محاولاً أن أقرر هل كان مجنونًا أم عاقلاً
ثم حاولت أن أتبين ما إذا كان كاذبًا أم صادقًا لأنه بالتأكيد صادق
في رعبه ..

إن هذه الرمال في ورطة .. لكن من أدراك أن هناك حشرات
أخرى ؟

- ماذا لا تكون هذه الحشرة التي رأيتها هي الوحيدة ؟

- لأن ثلاث حشرات زارتني بعضها في مدة أسبوع !

- .. فهمت ..

- هل تقرض ساعتي .. إنه يحتاجني طبعًا لكن هذه مشكلته
أم مشكلتي ؟

في قصري حبيس جواره بانتظار أن يحدث شيء ما .. لهذا
[illegible] غير عابئ بعينيه المندهشتين

- صحيح يا يوسف .. أنا

- بقي معي ساعة واحدة

- ولكن

- ربع ساعة آخر

- أفهمه معنا .. وهو يرتجف خلفه من الوحدة والعودة لمحاولة
[illegible] يبدو أن الظن .. أن لدي مشاغلي واهتمامات حياتي

- (يوسف) .. أن هذا من غير شيء .. كل ما يمكنك عمله هو
أن تصحح ذلك في إحكام .. وقضاء أطول وقت ممكن بين
[illegible]

احمر وجهه خجلاً .. ونهض صامتًا ملوحًا بكفيه !

- كما أنت .. مثلهم جميعًا .. كلهم يبدون علامات الفهم ثم
[illegible] تتحدثون بعينين مبهورة حاملين [illegible] على أنهم ليسوا في
وعيهم !!

ثم رغى وأزبد .. وشعرت به يدفعني للباب دفعًا

- اذهب ! اذهب لتمضي [illegible] اليوم وتغازل فتاتك وتتهم الآخر
[illegible] .. ثم تنام شاعرًا بأنك [illegible] عينيك [illegible]
[illegible]



فأبصرت عشرات ... بل مئات الحشرات متراصة على الأرض

وعلى الجدار

وقبل أن أفهم ما حدث انغلق الباب خلفي كصفعة تهاوت فوق قفاي ، فلم أتمالك نفسي من الشعور بالإهانة

* * *

شارد الذهن مطرق للأرض أدرت وجهي لأنصرف

وهنا استرعت انتباهي مساحة كبيرة من اللون الأحمر على درج السلم الرخامي والجدار ..

دققت بصري أكثر على ضوء المصباح الكهربي الخافت فوق الباب ، فأبصرت عشرات ... بل مئات الحشرات متراصة على الأرض وعلى الجدار

حشرات صغيرة حمراء اللون لا توحي بالثقة أبدا

حشرات أعرف وصفها ... وأعرف جيدا معنى وجودها هنا

لقد جاءت - كما توقع (يوسف) - ووقفت على الباب تنتظر

كانت تتحرك حركات دوامية منتظمة عصبية بعض الشيء ، كأنها تشعر بالتململ بانتظار شيء ما

وكان منها من تعبث هنا وهناك ... ومنها من تستكشف

لكنها جميعا كانت تنتظر

* * *

يجب أن أعبر هذه البحيرة من الأجساد المقرفة طالبا نجدة

لكن ما إن حركت قدمي حتى وجدت أنه من المستحيل أن أطأ الأرض لأن هذه الأشياء تكدست في الموضع الذي سيهبط فيه قدمي ... من الواضح أنها تتأهب لجذب الحذاء أو شيء مماثل

لا مخرج من هذه الناحية

مرجعت للخلف فى تؤدة وبطء محاذرا ان تبدر منى حركة عصبية

وقرعت الجرس فى هستيريا

مرتين .. ثلاثا ولا استجابة

بحيرة الحشرات تحصى نوع من العد ولسانان احمران يسير ـ ببطء نحوى

افتح ايها الاحمق .... افتح ...!

خمس حشرات تزحف من اعلى باتجاه يدى الضاغطة على الجرس

ـ (يوسف) افتح ارجوك !

بعد ثوان كالدهر سمعت صوته المتشكك من خلف الباب

ـ ماذا تريد ؟ قلت لك ان ترحل للجحيم !

هذا هو ما سيحدث لو لم تفتح !

لسان احمر ثالث يلحق برفاقه هل انا احلم ام ان هذه الحشر ـ تهاجم باسلوب (الميمنة ـ القلب ـ الميسرة) العسكرى العتيد ؟

ـ (يوسف) ! انهم هنا !

ـ هم ؟

ـ افتح الباب لترى !

سمعت ـ حمدا لله ـ صوت المزلاج ينفتح ، ثم لمحت وجهه اصفر اسود ما ان رأى المشهد ومن فمه خرجت شهقة

وقبل ان يغلق الباب لا شعوريا بادرت بحشر جسدى فى الفتحة الضيقة ثم جذبته خلفى واغلقت الباب باحكام

ـ اين لقد صحا ؟

اخذ يرددها فى هستيريا وقد تفككت صواميل جهازه العصبى تماما الدموع فى عينيه والعرق يتساقط من شدقه

ـ صحا . صحا !

ـ اشكرك على دقة معلوماتك .

ـ لا محاول يا صديقى . لا تحاول !

عليك اللعنة ! لست فى شوق لمزيد من التوتر انى بحاجة لحظة تعقل واحدة منك كى اعرف

ـ هل هناك تليفون هنا ؟

هز رأسه يمينا ويسارا ان لا

رفعت قدمى وشرعت اهوى بكعب الحذاء على الارض محاولا لفت انتباه الجيران وبعد عشر دقائق نظر لى بوجهه المحمر المنتفخ متسائلا عما اذا كنت قد جننت

ـ ما الغرض من هذا ؟ احاول لفت انتباه الجيران

ـ لا تحاول لا احد بالطابق السفلى كلهم فى المصيف !

ـ اين هذا الشىء ؟

ـ بالتأكيد

لكنى لم استسلم انا لا اخاف الموت لانه كأس سيرشفه جميعنا ، لكنى مقت ان اموت على صورة طعام فى احشاء هذه الحشرات القذرة وهذا من حقى فيما اظن

شرعت اجوب الغرفة مفكرا

هذه الحشرات لا تتأثر بالنار ولا المبيد [illegible] الحشرية ولا يمكن
سحقها بالحذاء .. إذن كيف ؟ لا بد من وسيلة ما
آه ! الماء .. قوة اندفاع المياه التي لا تقاومها الحشرات
هرعت للحمام .. فوجدت خرطوما مطاطيا طويلا حتى [illegible]
فقمت بتثبيته إلى فوهة الصنبور وفتحت هذا الأخير
وقبل أن ينهي الماء رحلته الطويلة بالداخل ركضت إلى باب [illegible]
وفتحته بحذر وصحت في (يوسف)
- لا تتحرك .. ابق خلفي
واعتصرت طرف الخرطوم بين أصابعي لأزيد قوة اندفاع الماء
ثم صوبته نحو البقع السوداء
وانطلق الماء يكتسح الأجساد البشعة التي [illegible]
تماسك صفوفها ، وبدأ طريق يرتسم ما بين هذه الصفوف
كنت أضغط على أسناني ممسكا الخرطوم ومن حين لآخر [illegible]
بعض الخطوة من على الجدران
ببطء نتقدم .. ببطء شديد حذر
و ...
فجأة توقف اندفاع المياه من فوهة الخرطوم
لقد انقطعت المياه في أتعس لحظة ممكنة !

* * *

نظرت نحوه في حيرة .. إلا أنه فارقني وهرع ناحية الشقة .. ثم
سمعت صوته يصرخ مشيرا إلي

- لا شيء هناك .. إن ضغط المياه أدى لانفصال الخرطوم من
فوهة الصنبور
- حسن تثبيته جيدا .. ولا تدعه ينفصل
وعاد الماء يتدفق وعدت أحاول تطهير المدخل إلى أن وصلت
[illegible] مفتوحة من [illegible] سمح لنا بالمرور دون خسائر
- هيا يا (يوسف) .. اترك الصنبور وتعال
فلم يرد
رفعت صوتي أكثر وأنا [illegible]
- يوسف ! [illegible] أسرع إلي [illegible] تنتشر صفوفهم
فلم أتلق - مرة أخرى - ردا
ركضت [illegible] بعد أن تركت الخرطوم على الدرج
ودخلت الحمام فوجدته ......
[illegible]
[illegible] الحشرات يمكنها الخروج من البالوعة
كما [illegible] ولابد أنه كان غارقا في محاولة تثبيت
الصنبور فلم يدرك أن الحشرات قد هجمت عليه [illegible] كأي
جيش منظم بعناصر مدربة ..
من خلفه زحفت .. و ......
لقد انتهى (يوسف) على يد أبنائه وبناته .. السلالة
- [illegible] - التي تكاثرت وتمكنت من العثور عليه وجعله يدفع
الثمن

انتهى [يوسف] وجاء دوري

جريت – كما تتوقعون يا رفاق – إلى الباب والتقطت لتحرسوه مواصلا عملية الإخلاء .

من الغريب حقا أن الحشرات لم تبد متحمسة لمهاجمتي كما في ليلة القتل ، وكأنها جاءت في مهمة محددة وهذه المهمة قد انتهت

وشرعت أثب درجات السلم ،

إلى الشارع ..

إلى سيارتي

* * *

كانت ليلة كابوسية

مات الرجال يعملون في صمت

علماء حشرات .. خبراء بيئة .. رجال شرطة .. مهندسون .. زراعيون

وكانت الحقيقة المروعة التي لم يفهموها بعد هي أن هذه الحشرات منيعة تماما .

ولم يجدوا وسيلة سوى جمعها بالجاروف أو بالفرش وتكديسها في صناديق كما هي ، واضطروا إلى تفكيك شبكة مجاري البناية كي يتأكدوا من أنهم لم ينسوا ذكرا وأنثى في مكان ما

أما عن الصناديق فقد دفنوها تحت عمق سحيق وأهالوا فوقها أطنانا من التربة

وابتكر العلماء مركبا سامًا لا بأس به طهروا به المنطقة وشبكة الصرف تحت الأرض .. وبالطبع شقة [يوسف] كلها

لكن التعتيم الإعلامي كان كاملا فلم يدر واحد من العامة بما حدث ..

لقد عشت أهوالا عديدة بعد هذا الحادث .. وأزعم – دون ادعاء كبير – أنه لم يعد يرعبني كوابيس وأنني تذكرت تفاصيله الأليمة هذه الليلة فقط استجابة لطلبكم ..

إلا أنني مازلت أجفل كلما سمعت صوت أزيز في مكان ما من شقتي .. وهو انعكاس شرطي له ما يبرره في الواقع

* * *

إن من يبحث في مراجع علم الحشرات بدقة اليوم سيجد صورة مثل حشرة صحبة حمراء اللون لا توحي بالثقة

وسيعرف أنها قد انقرضت تماما إلا من عينات محفوظة في بعض كليات العلوم بمصر .. وسيعرف أن اسمها اللاتيني هو (انثروفاجيا) ومعناه (آكلة البشر)

أما الاسم الدارج لها – بعيدا عن اللاتينية – فسهل تذكره

لقد أسماها العلماء المصريون باسم

حشرة الشيطان ...

* * *



الزائر ..

يحكيها : د. (سامي) وحرمه

- ١ -

انتهت قصتي وشعرت [illegible] جاء دوري لأنصت بينما يحكي الآخرون قصصهم لجمهور وهمي

قال (شكري) في جفاء وهو يتمطى

- لا [illegible] لكنها بشعة أكثر منها مرعبة !

- [illegible]

- كيف [illegible] بين [illegible] زئير الأسد ورؤية الأسد [illegible] في الحلقة الأولى [illegible] الرعب .. أما في الحلقة الثانية [illegible] وقصة [illegible] رعب [illegible] لكنها لا [illegible]

لا [illegible] في قصة [illegible] الجيدة بوصف العيون مقلوعة والجثث [illegible] و [illegible] لكنها توحي لك بذلك

[illegible] في [illegible] مقلوب [illegible] في [illegible]

- [illegible] الأحكام الأدبية !

[illegible] لا [illegible] الثورة الفرنسية [illegible] أو [illegible] مثلاً !

- على كل حال .. أعتقد أن أفضل قصص الليلة هي قصة د. محمد [illegible] حتى الآن [illegible] فهي [illegible] جو [illegible] والتدبير [illegible] ثم [illegible] بأنك كنت مخدوعاً

[illegible] في [illegible] مستطرداً :

- [illegible] قصتي [illegible] قصصكم [illegible] فرصة [illegible] والآن [illegible] بالأحرى [illegible] قصة د. سامي

تبادل د. (سامي) وزوجته النظرات ثم قال في رقة
- حسن .. اعتقد ان مدام (سهير) قد اعجبت بقصة المرأة التي كنت اتخرف لكم .. لكن عندي بحسن الحظ قصة لا بأس بها ويمكن ان نتبادل سردها
قالت مدام (ثريا) وهي تدعك عينيها الحمراوين
- احك انت .. وسأصحح لك التفاصيل

* * *

قال د. (سامي):
- ان الخوف من المجهول - ومن الأشياء التي تحدث خلف ظهورنا - مخوف عنيد .. وفي حالتي كان كابوسي الخاص يتعلق بالأشياء المفزعة التي تحدث في دارنا بعد ان نتركها ونسافر .. لو ان عينا سحرية وضعت ... تحدث في المكان الخالي .. فأي شيء سنراه ؟ .. كانت هذه الفكرة تؤرق صباي وشبابي وواضح انها ستؤرق شيخوختي

* * *

هي هواية التصوير الفوتوغرافي التي بدأت كل هذا الهرج
أرى وجوهكم تتساءل عن الكيفية التي يتسبب بها التصوير الفوتوغرافي رعبا لأحد .. انتظروا دقائق وستفهمون كل شيء
كنت - في تلك الأيام من عام ١٩٦١ - مغرما بآلة التصوير العاكسة التي ابتعتها من (الدنمرك) .. وقضيت أوقاتا لا بأس بها أجرب عدساتها وأصور عشرات التأثيرات الخاصة
ثم بدأت التقط صورا لنباتات الظل في داري

كنت بحاجة ماسة إلى تعلم الصبر مع كائن ممل بطيء النمو كنبات .. خاصة حين تحاول الإحساس بنموه بشكل محسوس
وتفتق ذهني عن وسيلة مشابهة لأسلوب تسريع الزمن المستعمل بكثرة في تصوير النباتات والزهور .. في هذا الأسلوب يتم التقاط صورة للمشهد المراد متابعته على فترات متباعدة .. صورة كل ثلاث ساعات .. أو صورة كل يوم .. المهم ان عرض هذه الكادرات يجري بسرعة أربعة وعشرين كادرا في الثانية .. (حسب أكثر آلات العرض شيوعا) وهكذا يولد مشهد لم يوجد قط
انك بهذا الأسلوب ترى غصون اللبلاب ترحف كالأفاعي متسلقة الجدران .. والورود تتفتح .. كطيور وليدة .. والأغصان ترتفع متوحشة .. انك تحصل على حياة مضغوطة أسرع إيقاعا من حياتنا .. وأكثر إبهارا
لكني لم أكن أملك جهاز عرض سينمائي
كل ما كان عندي هو (فانوس سحري) متهالك .. يمكنه ان يعرض الشرائح المثبتة على الحائط .. وعن طريق سرعة تغيير الشريحة المعروضة أستطيع ان أخلق انطباعا زائفا بالحركة .. وهي بالطبع ليست حركة ناعمة كالتي نراها في السينما بل هي مجرد انتقالات عصبية خاطفة كأنها تجارب (لوميير) الأولى
لكني كنت مبهورا بالنتيجة ..
وكانت نتائج تصوير شروق الشمس باهرة .. تحول معي الأفق المظلم الذي يبدأ في التلون .. ثم يثب قرص الشمس في ثقة وسط اللون الأحمر كي يبعث الدفء والنور من حوله

تخيل ما يمكن أن يحدث لو صورت النباتات بهذا الأسلوب
لكنها تجربة قاسية

ولسوف أحتاج إلى صورة في العاشرة صباحا وصورة في العاشرة مساء كل يوم لمدة أسبوعين حتى أحصل على نتيجة ... وأنا رجل مشغول ... مشغول

ليس لدي وقت لتكريس نفسي ... لم يكن مهاري أيضا ... [illegible] حتى ولو كنت شغوفا به ... خاصة و (ثروت) مصابة بفقدان ذاكرة مرضي يصعب معه أن تتذكر شيئا كهذا

لهذا ابتكرت جهازا رائعا

هذا الجهاز هو نوع من الدائرة الكهربية التي تتحقق كلما لامست عقارب الساعة العاشرة صباحا أو مساء ... ويتكون من ساعة وعدة أسلاك وبطارية ... وقد أوصلتها بضاغط الكاميرا الذي يفتح الحاجب ويغلقه (الغالق) في ذات اللحظة

أما الكاميرا فوضعتها فوق حامل وأحكمت ضبط شباك رؤيتها على نقطة متوسطة لنباتي للحديقة ... وكان موضع هذا الحامل هو في الصالة ... هنا ... قرب هذا المقعد ... هل ترون المكان جيدا ؟

إن هذا الموضع يظهر أصص النباتات بوضوح ... ويظهر كذلك مشهدا جانبيا عاما للصالة كلها كما لا بد أنكم لاحظتم

وما إن أحكمت إجراءاتي واطمأننت على كل شيء

حتى بدأت التنفيذ

ومن هنا بدأ [illegible]

* * *

كانت التجربة عملية

وكنت أعطي (ثروت) [illegible] (كيك) صباحا ومساء ... فكانت تبتسم في إعجاب وتبتسم لي في تواضع متظاهر أنني نسيت ذلك العبقري الذي تعرفه

لي أمنية أحصل على بعض بكفاءة تامة

كنا ... كما تعلمون جميعا ... كثيري الخروج لزيارة المعارف لأننا نحب الجو الاجتماعي أو ... كما يقول (رفعت) ... نحب ثاني أوكسيد الكربون ونكره الأوكسجين

لكننا كنا مطمئنين في كل مرة إلى أن الكاميرا تؤدي عملها كخير ما يكون

كان عداد الكاميرا يدنو من الثلاثين لقطة ... وكان الشغف يدفعني لرؤية النتيجة ... صحيح أنها لن تكون في أفلام التصوير السينمائي لكنها ... على الأقل ... ستقدم الغرض

* * *

كنت أتردد على عيادتي بعد الظهر حيث أقضي ساعتين أو ثلاثا مع مشاكل مرضاي

وعلى النقيض من عيادات الأطباء النفسيين المزدحمة التي يستعملون فيها العقاقير ... فإن عيادة (المحلل النفسي) تعتمد على مريضين أو ثلاثة يأتي الواحد منهم ليرقد على أريكة مريحة ويثرثر عن نفسه ... على حين يجلس المحلل عند رأس المريض واضعا ساقا على ساق يدون ما يقال في (بلوك نوت) صغير أو ... إن كان متحذلقا ... يجلس جوار بكرة جهاز التسجيل الدائرة ويكتفي بالأسئلة ..

إن أساليب التحليل النفسي معقدة وتحتاج لصبر لا ينتهي .. كما أنها تحتاج لطبيب لاه عن المادة غير متعطش للكسب .. بل للمعرفة

ومع حديث المريض المسترسل .. أو حكايته لأحلامه .. أو تداعي المعاني غير المقصود .. أو تفسيره لصور مشوهة يريها الطبيب له .. أو تحت تأثير التنويم المغناطيسي .. يبدأ المحلل يجد خيوطا تقوده إلى جذور مرضه النفسية وتتجمع أجزاء الصورة

هو - بلا جدال - فن معقد لكني أحبه

وكانت الحالة الجديدة التي تورطني هي (سوزان) .. فتاة في الثلاثين من عمرها غير متزوجة وعلى قدر لا بأس به من الثروة والجمال .. كل شيء فيها كان أسود .. ثيابها .. شعرها .. عينيها ، وكانت تسدل خصلات شعرها على جانب وجهها الأيمن إمعانا في الغرابة

هذه الفتاة - قلت لنفسي - ممن يعتقدن أن غموض المرأة (موضة) لها جاذبيتها ، وغالبا ما يتضح أن هذا الغموض محض تفاهة وسطحية لا مثيل لهما .. أتى من قراءة (النظارة السوداء) لـ (إحسان عبد القدوس) أو (أبو الهول الذي لا سر له) لـ (أوسكار وايلد) ستعرفون على الفور ما أعنيه

المشكلة هي أن هؤلاء الفتيات - مدعيات الغموض - يكن دائما فريسة الشعور بالاضطهاد وأنه لا يوجد إنسان مرهف الحس بما يكفي كي يفهمهن .. وفي الغالب هن يأتين للمحلل النفسي

إلا لأنها (موضة) يفعل ذلك في السينما .. ولأن المحلل النفسي جزء من هالة الغموض التي تريد أن تخلقها حول ذاتها

قلت هذا لنفسي في جزع

وبدأت أتأهب لساعة من الملل والرغبة في طردها

لكنها - إذ رقدت على الشيزلونج - بدأت تتكلم .. وكان ما قالته لي غريبا إلى حد لا يصدق

اسمها (سوزان) كما قلت لكم .. واسمحوا لي ألا أذكر باقي اسمها ولا مهنتها لأن الطبيب النفسي لا يحق له أبدا أن يفشي أسرار مرضاه مقرونة بما يدل عليهم

ومشكلتها كما قالت لي هي أنها

- بلا مفر .. لا أجد مفرا ولا مهربا منها

فكان طبيعيا أن أسألها

- ومن هي ؟

- (لميس) ..

- هل هي عدوة قديمة لك أو شيء من هذا القبيل ؟

عابثت خصلات شعرها في توتر .. وهمست

- بل أسوأ .. إنها أنا !

- وهي تعيش داخلك ؟

- بالفعل .. وتجبر جسدي على إطاعتها

وأنا يا رفاق طبيب نفسي عتيد ، شاب شعري في أروقة اللاوعي ودهاليز (الأنا العليا) وسراديب الـ (هي) .. وأزعم أنني رأيت



... تغلبت على شخصيتي ... متكبة ... وكانت ...
لذاته في عربدة إلى حد لا يصدق

وسمعت كل شيء .. من العجوز التي تدعو البعوضة بتحرير العالم إلى الفتاة التي تخشى أن تسحقها البراغيث في فراشها

لقد تغلبت على أنفور نعمة (الفصام) الشهيرة .. وهي موجودة - بدرجات متفاوتة - في كل منا بدءاً بحالات المرح البسيطة وانتهاء بالصورة الخصوصية الغريبة التي رسمها (ر. ل. ستيفنسون) في روايته (د. جيكل ومستر هايد)

إلا أنني تركت الفتاة تتكلم

- كنت أشعر بها تتحرك في أعماقي وتقول لي .. لقد كنت طيبة أكثر مما .. إن حبه عرف حوجرتك وحطمك .. وهذا الجسد لا يسع سوى واحدة .. ولن تكوني أنت هذه الواحدة .. إنني أقوى شخصية منك وأذكى .. إنني أحصل على ما أريد ولا أرتجف خلف الأبواب الموصدة عاجزة عن فعل شيء .. لقد .. لا فرصة لك أيتها الحمقاء لا فرصة على الإطلاق

توقفت عن الكتابة في مفكرتي .. وسألتها

- وهل نجحت في الاستيلاء على جسدك تماماً ؟

نهضت ورجعت رأسها للوراء وعضت شفتيها بأسنانها

- ليس بعد .. لكنني - حين يجن الليل - وأغرق في النعاس عرفت أنها استحوذت علي .. عرفت أنني أغادر الفراش وأتسلل مغادرة الدار لأعيش حياتها الغامضة التي لا أدري شيئاً عنها .. إلا أنني - في الصباح - أجد آثاراً كثيرة .. تذاكر قطار .. بطاقات .. خدوشاً في معصمي كأنني كنت أجتاز دغلاً متشابك الأغصان .. جروحاً في أصابعي .. إلخ

- ولم يحدث قط ان عدت للسيطرة أثناء ممارستها لحيلتها ؟
اتسعت عينها اليسرى - غير المغطاة - رعبا وهمست
- مرات قليلة وكنت أجد نفسي في أماكن لا أعرفها أماكن غامضة مرعبة ، لهذا كنت أفر من ذاتي فورا وأترك (لميس) تتصرف لأنها ما دامت وصلت لهذه الأماكن فهي تعرف كيف تخرج منها

قلت بصوت رزين محاولا تهدئة أعصابها
- أماكن مرعبة .. هلا أوضحت أكثر ..؟
نظرت لي حيث جلست عند رأسها أدري ما تقول وقالت
- لا أدري مقابر وسط الشواهد الكئيبة زقاق خلفي مظلم تعوي فيه القطط السوداء في شراسة قفص الأسد في حديقة الحيوان وهو يرمقني في تكاسل متسائلا عما إذا كنت أصلح لعشاء محرقة جثث في دولة أجنبية عشرات الأماكن
مرة أخرى توقفت عن الكتابة
- تعنين أنها ساقت جسدك لقفص الأسد ؟
- بالضبط
- لكننا متفقان على أنه لا يمكن لإنسان أن يدخل هناك ، فضلا عن أن يخرج ألا يعني هذا أن الأمر مجرد كابوس منك ؟
صاحت في ضيق كأنما أذهلها غبائي
- نعم .. أنت لا تعرف (لميس) .
- لكن .. هذا يعني أنها

- نعم .. هي شيطانة وأكثر بل هي تجيد اختراق الحوائط والسير عبر المحيطات . كل هذا مستعملة جسدي الفاني الضعيف ؟

حتى بعد كلماتها الأخيرة لم أشعر بلحظة دهشة
إن القصة دائما هكذا . ولقد سمعت أسوأ منها بكثير والتفسير العامي الجاهز لهذه القصص هو مس الجن أنا مؤمن بالجن طبعا لكننا نعلق على شماعته كثيرا من الاضطرابات النفسية التي يمكن علاجها ومن الممكن أن تكون هذه الحالة واحدة منها
لعقت شفتيها عن يمينها وشمالها
فشعرت بخيبة أمل
إن (لميس) شخصية بوهيمية منطلقة بكل ما في الكلمة من معان وشبابها لا غبار عليه . فلن أجد عقدا ولا إحباطات في حياتها من أي نوع . وحتى شماعة (الإحباط العاطفي) التي نعلق عليها المشاكل النفسية لا وجود لها هنا
لأن الفتاة مخطوبة لشاب مهذب وسيم أعرفه جيدا وأعرف أن فتيات كثيرات كن يتمنين قطع ذراعهن من أجل الفوز به
إذن ما هي المشكلة ؟
ما هي جذور (الفصام) في شخصية كهذه ؟
إن المرض العقلي ليس عدوى وليس كارثة قدرية مفاجئة بل إن له أرضية ممهدة في شخصية صاحبها - نحن أطباء النفس - باسم (شخصية ما قبل مرضية) - ثم تأتي الصدمة فجأة فيولد المرض

النفس الذي قد يأخذ صورة خلاق طيب يعرفه المريض ويفهمه ويكافح للخلاص منه واسمه (عصاب) أو خلاق خطير لا يعرفه المريض ولا يفهمه بل ويكافح كي يقنع الآخرين به .. وهذا الأخير تسميه (ذهان)

وهي تسمية مهذبة لكلمة (جنون) (*)

كانت (سوزان) شخصية قوية [illegible] ولكن حديث معها [illegible] كانت [illegible] يستحق [illegible] عن [illegible] الغموض .

وتدريجيًا بدأت أدرك أنها ستكون [illegible] مرحلة تحدي [illegible] وخبراتي في عالم النفس [illegible] أصدق حرفًا مما تقول

- لهذا أزمعت أن أحضر معي دليلا

قالتها وهي تعبث في حقيبتها بحثًا عن شيء ما [illegible]

- دليلا على ماذا ؟

- على أنني كنت هناك

وأردفت مفسرة وهي تطبق يدها على ما كانت تبحث عنه

- أمس استعدت سيطرتي على نفسي فوجدت أنني واقفة في قاعة مظلمة تموج ببنات الظل [illegible] ولم يكن هناك [illegible] كنت أدرك أنني سأتلاشى بعد ثوان لهذا أمسكت بأول شيء وجدته أمامي ودسسته في جيبي لأتأكد في الصباح من أنني لم أكن واهمة

(*) [illegible]
في شجاعته

- ممتع لا بأس به .. وما هو هذا الشيء ؟

فتحت كفها [illegible] شيء [illegible] فتجمدت [illegible]

[illegible] هذه اللحظة [illegible] إلى أي حد هي صادقة

لا يوجد سوى [illegible] واحد في مصر كلها يشبه هذا الذي تمسكه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

- ٢ -

توقف د. (سامى) عن الكلام وحدق يتأمل وجوهنا فى استمتاع إذ أثار شغفنا إلى حد كبير

قال (شكرى) وهو يرشف القهوة التى أعدتها له مدام (ثريا) كى يحتفظ بحيويته وسحره المعجبين

- لا بأس بدأنا .. لقد نجحت فى بعث التوتر فى عروقنا .. وأعتقد أن الفضول قد قفز من عيون الكثيرين

قلت أنا وقد بدأ وعيى يتلاشى حتى أننى كنت أجد صعوبة فى ترتيب أفكارى :

- هناك من تحدث عن تصوير النباتات .. من هو ؟ وماذا حدث فى قصته هذه ؟!

ابتسم الجالسون فى رقة .. وتبادلوا النظرات .. ثم قال د. (محمد) وهو يربت على كتفى :

- صح النوم ! إن تصوير النباتات هو قصتنا الحالية هذه !

- حقًا ؟ و.. و.. ماذا حدث فيها ؟

- لم يحدث شىء بعد

- إذن لماذا تحدث .. ما اسمه بالضبط ؟ د. (سامى) .. نعم هو كذلك .. لماذا تحدث عنها ؟

- هذا ما سنعرفه حالاً

قال د. (سامى) فى لهجة معتذرة

- لم يكن هذا مقصودًا يا د. (رفعت) .. صدقنى .. فقط إصغ لباقى القصة

- حسن .. حسن .. قل ما عندك

* * *

تناسيت هنا الحادث الغريب

ولم أشعر الفتاة بما يعتمل فى ذهنى من خواطر سوداء

على أننى كنت أترقب اليوم الموعود فى شغف حقيقى

لقد استهلك الفيلم الذى غلفت النبتة فى صور طبقة أسبوعين وثلاثة أيام وأمكننى أن أعيد تعبئته وإرساله للتحميض

وبعد ثلاثة أيام وصلتنى مظاريف بها ستة وثلاثون كادرًا شفافًا ، فقمت بترتيبها - بحسب رقم اللقطة - فى منصة العرض الدائرية للفانوس السحرى

وناولت (ثريا) التى غلبت لى كوبًا من الليمون إمعانًا فى الاستمتاع والتلذذ بالحدث الذى جعلته خيالاتى أسطوريًا

أطفأت النور وأضاءت كشاف الجهاز فارتسمت الصورة على الشاشة تظهر أكبر عدد من نباتتنا الحبيبة

وبدأت أتنقل بين الكادرات ببطء فى البداية على أن أزيد سرعة التحريك فيما بعد حين أتأكد من جودتها جميعًا

وكانت (ثريا) أول من لاحظ

فى الكادر السابع كان ثمة شىء غير مألوف

ووجمت ونحن نرمق ما نراه .. عاجزين عن تفسيره

- هو جزء من ساعد وأصابع يد ..

قالتها (ثريا) ووثبت إلى الشاشة لتشير بإصبعها شارحة وجهة نظرها ، تلك الوجهة المعقولة إلى حد كبير .. ففي طرف الكادر الأيمن كان هناك شكل مبهم - قريبه من العدسة - لكنه يتشكل في صورة ساعد ويد مفتوحة الأصابع .. في هذا الكادر .

- هل هي يدك ؟

- أنت تعرف أن هذا الركن محرّم علينا منذ بدأت مشروعك

- إذن يد من هي ؟

- يد شخص مر أمام الكاميرا في العاشرة من مساء اليوم الثالث

- وهل هذا طبيعي ؟ لا يوجد سوانا في هذا البيت

- استمر في العرض ونرى ..

وبدأت الكادرات تتوالى ..

وفجأة - عند الكادر السابع عشر - لمحنا شيئاً آخر

كان هناك كتف .. نعم كتف يدخل من إطار الكادر الأيسر وكالعادة بلا تفسير ..

وتوالت الكادرات

الكادر الحادي والعشرون كي يظهر شيئا قريبا من ظهر فتاة ترتدي ثوبا سوداء تماما ، أما الكادر الثلاثون فكان ظلاما كله كأن هناك من كان يقف أمام العدسة لحظتها

ما معنى هذا ؟

معناه أن هناك من يتسلل إلى دارنا

وهذا التسلل حدث في العاشرة مساء من اليوم الثالث واليوم الثامن واليوم العاشر والخامس عشر .. من بدء التجربة

- لقد خرجنا في اليوم الثالث لزيارة آل (محفوظ)

- بل آل (منصور)

- وخرجنا في الأيام التالية جميعا

قالت (ثريا) وهي تتأمل إحدى الصور

- معنى هذا أن هناك من كان ينتهز فرصة مغادرتنا للدار كي يدخلها

شردت نظراتي وأنا أقلب في ذهني الاحتمالات

- ولكن .. هل سرق شيء من الفيلا ؟ لا أظن

- لم يسرق شيء .. أنا واثقة ..

عدت أفكر بصوت عال وأنا أرشف الليمون

- إذن لماذا يتسلل أحد للفيلا ؟ ثم تقولين إنك نعسة - لا سمح الله - دخلت إلى دار غاب أهلها ، ثم .. هوب ! يسطع فلاش الكاميرا وتعرفين أنهم أعدوا طريقة ما لالتقاط الصور أوتوماتيكياً .. عندئذ ماذا تفعلين ؟

- بالطبع أحاول تدمير الكاميرا أو الفيلم لأن عليه دليل إدانتي ، أو أفر من الدار ولا أعود لها أبدا .

- لكن المتسلل لم يفعل هذا .. فما سر ذلك ؟

لم تجد إجابة

وكذا أنا

ظللنا صامتين نرمق الكادر شاردي الذهن .. ثمة خطر يتهددنا
لكننا لا نعرف كنهه .. شرخ في جدار نفسنا يتسع ببطء
وبالطبع نسينا كل شيء عن تجربة النباتات !

* * *

لم يكن منطقيا ان نبلغ الشرطة
اذ لم يسرق شيء من الفيلا على الاقل في الوقت الحالي
المنطقي هو ان نتأكد من غلق الابواب والنوافذ بإحكام عند مغادرتنا لها .. والمنطقي كذلك ان نعيد التجربة مع شيء من سعة الافق .
اما المنطقي اكثر من كل هذا هو ان نخرج ثم نعود للفيلا في (كبسة) مفاجئة في العاشرة مساء
ولقد نفذنا كل هذا بدقة تامة
ونقلنا الكاميرا الى ركن قصي من الصالة يتيح لها التقاط صورة شاملة لكل ما يحدث . وبالتالي لن تحوي الصور القادمة اجزاء من عتبات غامضات بل العتبات اجمعهن !
وفي اليوم الاول تعمدنا الخروج محدثين اكبر ضجة ممكنة ليعرف من يراقبنا اننا خرجنا
ولم نعد الا في العاشرة مساء لنترك فرصة اكبر للمتسلل
أما في الايام التالية فكنا نعود في اوقات مفاجئة لكننا - كما هو واضح - لم نلق ما يريب

وبعد خمسة ايام اختفى الفيلم لتحميضه .. على صور هذه المرة وليس شرائح فانوس سحري .. وذلك لنسهل تداولها ودراستها
فماذا - تتوقعون - كانت النتيجة ؟
نعم .. هو كذلك .. لم يظهر المتسلل سوى في الصورة الاولى .. اي انه لم يأت سوى مرة واحدة او هو توقع عودتنا في المرات التالية فلم يأت
كانت الصورة مألوفة لي .. مألوفة تماما
الغريب انها كانت تقف في مواجهة الكاميرا في ثقة مرعبة .. كانت تعرف ان صورتها تلتقط .. وتريد ان تظهر استهانتها بنا
الثوب الاسود والشعر المسدل يغطي نصف الوجه والوقفة الشامخة
الم تعرفوها بعد ؟ .. هل سيتم لعبة التمثيل ؟
إنها (سوزان) طبعا ..
أم هل اقول .. (لميس) ؟!

* * *

في هذه المرة قمت بإبلاغ الشرطة
وكان ضابط البوليس هو (عادل) .. ولعل هذا هو سر صداقتنا
وانتم لم تنسوا بعد استشارته لي في قضية المرأة المسحورة إياها
وكان (عادل) نشيطا .. بل جم النشاط
خطته انقسمت إلى جزءين .. الجزء الاول هو العثور على الفتاة ومواجهتها بصورتها .. وهذا سهل لأن لدي اسمها وعنوانها ورقم تليفونها

الجزء الثاني .. هو تدبير كمين لها في ليلة مغادر فيها الفيلا
. لكن الجزء الأول كان سلبيًا .. لأن الفتاة تعمدت أعطتني معلومات
مزيفة عن بيتها ، وحتى خطيبها الذي كنت أعرفه لم يكن خطيبها
ولم يرها في حياته .. هكذا أخبرني هو في النادي
كانت تكذب بإحكام تتملك هي زمام المبادأة .. فلا تراني إلا حين
تريد هي . .
أما الجزء الثاني فلم يسفر عن شيء بعد أسبوعين من مراقبة
الفيلا .. ولولا الصورة لاعتبرني (عادل) مخرفًا
لقد ذابت الفتاة .. تبخرت
ـ لكنها لم تؤذك ولم تسرقك !
قالها (عادل) مواسيًا .. فصرخت في حنق
ـ وهل هذا سبب كاف كي أشعر بالسعادة إذ تدخل (الفيلا) كل ليلة
لتفتشها ركنًا ركنًا ؟!
ـ ثم .. كيف تدخل ؟
في حنق نظرت له .. وشهقت هامسًا
ـ أنت لا تعرف (لميس) !

* * *

وقضيت و (ثريا) أيامًا سوداء كقلب الكافر
لنشرع في جدار أمسا صار أخدودًا .. ثم فالقًا جيولوجيًا يوشك
أن يبتلع حياتنا كلها .
لو أخذنا بظاهر الأمور لأيقنا أن الفتاة صادقة في كل حرف

قالته لي ، وهذه الـ (لميس) تلخصها ـ بعيدًا عن كل قوانين
الطبيعة ـ إلى أماكن غير عادية ، ولم تكن الفتاة كاذبة حين وصفت
لي قاعة الجلوس في الفيلا بدقة .. بل وكان معها دبوس ماسي
لا يخصني ..
ثم جاءت صور الكاميرا لتدعم القصة
وهنا ـ يتساءل أحدكم ـ لماذا بيتي بالذات ؟
إن الإجابة غير مشجعة على الإطلاق
متشبثين بحبال الطب النفسي إلى النهاية ، فنذكر أن الشخصية
الثانية في حالات (الفصام) تمقت المصالح بشدة باعتبارها يحاول
تدميرها لصالح الشخصية الأولى
وهكذا يسهل معرفة سر زيارة (لميس) المتكررة لداري
إنها ـ بصفة عصبية ـ ترغب في الخلاص مني
أو هي تدبر لي شيئًا ما سيكون وبالًا فوق رأسي
والقلق يشيع الفكر

* * *

وفي تلك الليلة
كانت عقارب الساعة تدنو من العاشرة
وكنت أنا مختبئًا خلف مقعد في قاعة الجلوس .. نعم .. هو ذلك
الكرسي الذي تجلس فوقه يا د. (رفعت) ! .. هو ذاته
كنت أنتظرها .. ولم أتوقع أنها ستأتي
لكنها جاءت ..
وفي صدر القاعة انطلقت تمسح ثوبها الأسود ، ووسط الصمت
المطبق سمعت حفيف ثوبها وقرقعات كعبيها .. كانت تسير في تؤدة



وانتصب شعر رأسي

لم يعد هناك مجال للشك في حقيقة الأمر ... إن هذه الفتاة قد خرقت كل حواجز الطبيعة ، واجتازت الأبواب المغلقة والنوافذ الموصدة لتكون هنا .

إنها (شيء) ولا يمكن أن تكون كائنًا بشريًا

وفي ذعر امتدت يدي إلى مفتاح النور فساد الضوء المكان ... رفعت وجهها نحوي في بطء ... وابتسمت ابتسامة غامضة

كانت شاحبة ... لكنها هي هي ... ذات الملامح والشعر المصفف لكن في ملامحها كانت هناك قسوة غير عادية

- (سوزان) !

كذا ناديتها فلم يبد عليها أنها سمعت شيئا

- (لمبي) !

بدأت تستجيب أخيرا ... وفي برود - كلوح ثلج يتهشم - تساءلت

- أنت ؟

- بالطبع أنا

ارتسمت ضحكة وحشية على ثغرها ، وبدأت تسير نحوي في تؤدة

- جئت أراك وأسألك ... لماذا تريد قتلي ؟

- أنا ؟ ... ولماذا ؟

- من أجل المخلوقة التافهة (سوزان) ... انظر ! ... هي لا تخترق الجدران ولا تطير ولا تلتهم النيران ... أما أنا فأفعل !

وتقلص وجهها وهي تواصل التقدم نحوي ... وأردفت
ـ إنك قد اخترت المعسكر الخطأ ..
ورأيت نصل سكين يلتمع في يدها ... أخرجته من حزامها الفضي
ـ وعليك أن تدفع الثمن ..
صحت وأنا أثب للوراء محاولاً أن أطيل اللحظة الفاصلة قدر الإمكان (وحتى لا أستسلم للهلع)
ـ (لميس) ! كفي عن هذه اللعبة !
ـ أية لعبة ؟
ـ لعبة الجنون ... إنك ترين الكثير من الأفلام ، وتتخيلين أن الفصام يزيد من غموض المرأة وسحرها
وازددت تراجعاً للوراء محاذراً أن أصطدم بقطع الأثاث
ـ لكنك لن تخدعيني أبداً ..
همست بصوت كفحيح الأفعى وهي ترفع السكين
ـ كنت أنتظر هذه اللحظة ... لكني شئت أن أفزعك أولاً ... أن أتركك تتساءل عن كنه شخصيتك الغامضة أياماً وأياما
وانقضت علي صارخة بالفرنسية (دون مبرر في الواقع)
ـ لقد انتهت الكوميديا !!
كانت قد صارت في النقطة المناسبة تماماً
وحين لمست الحبل ، وانطلقت مجموعة الميكانزمات المعقدة التي أعددتها لها في صبر ، وحين سقطت شبكة الصيد المعلقة بإحكام

من السقف لتكبل حركتها ... كنت آمل ألا يكون الفكاك من الشباك جزءاً من مواهبها الخصبة
نجل ... هي طريقة بدوية شبيهة بأساليب قبائل (الأرونو) في صيد النمور لكنها كانت تعمل بكفاءة . ولقد قضيت أربع ساعات مع (ثريا) صبيحة اليوم نجرب إمكانات هذا الاختراع ... ثم أننا تظاهرنا بالخروج بسيارتك في التاسعة مساء توطئة لأن أعود لك متسللاً أنتظر الزائرة
الزائرة التي تتلوى في شباكها كالنمر دون أية مبالغة أدبية
لو لم نكن في المدينة مكبلين بالقوانين لطعنتها برمح واسترحت بالاً
لكني مرغم على طلب الشرطة للأسف وبسرعة قبل أن يتمكن هذا الوحش الكاسر من تمزيق نسيجه بالسكين ... عندئذ لا يعلم سوى الله ما قد يحدث ..

* * *

وجاء رجال الشرطة وحملوها ـ كالخنزير البري الهائج ـ إلى المكان الأخير الباقي لها كي تذهب إليه
وقالوا لي أنني نجوت بأعجوبة ، وأن الزملاء في مستشفى الأمراض العقلية سيواصلون مسيرتي ، وقالوا إنهم آسفون على عدم تصديقي في بدء الأمر لأنهم لم يملكوا خيطاً واحداً يقودهم إليها
قالوا هذا وسمعته ..
لكني كنت أدرك أن المأساة لم تنته بعد ، وأننا لم نصل للنهاية السعيدة المطلقة التي تختتم بها الأفلام السينمائية

ان في القصة جانبا غير عادي لم يتضح بعد
إذ كيف دخلت هذه الشيطانة داري عشرات المرات ؟!

* * *

ومرت الأيام في هدوء تام
وكنت اتردد على عيادتي بانتظام كما هي العادة
إلى أن جاء ذلك اليوم
ذلك اليوم الذي فتح فيه الباب ولمحتها داخلة
كانت عيناها السوداوان الواسعتان تفرج عن ابتسامة مشرقة مصقولة ، وكانت ترتدي ثوبا زاهية اللون وقد عقصت شعرها
اما انا
لا داعي لوصف ما حدث لي لحظتها
لقد وثبت مترا إلى الوراء ومترين لأعلى وقفز قلبي إلى حلقي كالبرغوث
صحت في صوت مختنق
ـ انت ؟
هزت رأسها يمينا ويسارا في مرح وضحكت
ـ افتقدتني ؟ كنت مشغولة إلى حد ما
وجذبت كرسيا وجلست عليه وقد وضعت حقيبتها على ساقيها كأن شيئا لم يحدث ، وكأنها بانتظار لحظة البدء
ـ لـ .. لحظة من فضلك ...!
وبيد مرتجفة مددت إصبعي لقرص التليفون وطلبت رقم مستشفى الامراض العقلية ثوان ثم ردت ممرضة ملول فسألتها عن

د . (صابر) صديقي .. ، وبعد دقائق سمعت صوته يتساءل عما هنالك .
خفضت صوتي إلى درجة الفحيح وهمست
ـ د . (صابر) هذا أنا (سامي) نعم بخير بخير كلهم على ما يرام لا وقت للاجتماعيات أرجوك قل لي متى خرجت تلك الفتاة من عندكم ؟ الفتاة المصابة بالفصام
سمعت صوته المندهش من السماعة يهتف
ـ من ؟ تعني (سوزان) او (لميس) ؟ بالتأكيد هي ما زالت في ضيافتنا من قال انها خرجت ؟
ـ هـ متأكد ؟
ضحك لثوان ثم سمعت صوته الواثق يرتد
ـ طبعا ! بل انها جالسة في مكتبي في هذه اللحظة هل تريد ان تحدثها ؟ هاك هي ! د . (سامي) يريد ان يحدثك يا (سوزان) !
رفعت عيني إلى الجالسة امامي وكانت ترمقني بنظرة ثابتة فيها سخرية خفية ، على حين سمعت الصوت المألوف في السماعة
ـ د . (سامي) ! كيف حالك ؟ اريد ان اعتذر عن كل الإزعاج الذي سببته لك ! إنهم هنا طيبون حقا ولكني لا اتحمس باستمرار
هيه ! د . (سامي) ! لا تحقد علي لماذا لا تجيب ؟!
في بطء اعدت السماعة لموضعها ورفعت عيني نحو الجالسة امامي ..

ـ ما بك يا د . (سلمى) ؟ كأنك ترى شبحا !

قالتها بنفس النظرة العميقة الساخرة

وهنا تصلب جسدى . ووقفت ببطء شديد . وبصوت لم أعرف أنه صوتى سألتها :

ـ من أنت ؟

ـ هل تمزح ؟

ـ بل .. ما أنت ؟!

ـ ياله من سؤال ؟ أنا (سوزان) بالطبع

ـ إذن من هى نزيلة المستشفى ؟

ـ قالت فى بساطة وهى تنقل ساقاً فوق ساق

ـ وهل هناك نزيلة فى المستشفى ؟

كنت قد انتهيت تماما ولم أدر تماما حقيقة ذلك الذى أفعله لكنى كنت أضرب المكتب بقبضتى وأصرخ فى هستيريا

ـ إسمعينى أيتها الفتاة ؟ إن من تتحمل أكثر ابحثى عن أحمق آخر تتسلين عليه بالاعيبك أما أنا فقد انتهيت تماما

وكانت هى محتفظة طيلة الوقت على وقار جلستها مكتفية بأن تطقطق بشفتيها فى تعجب مرددة عبارات من نوع

ـ كذا ؟.. هكذا ؟.. يا للخسارة !..

وكنت قد وصلت للنهاية فأرجعت ظهرى للوراء وغطيت وجهى بكفى .. ولذت بالصمت .

ساد السكون الثقيل الحرج بضع دقائق

ثم إننى رفعت وجهى نحوها وهمست

ـ اذهبى ! أنا لن أستطيع معاونتك !

ـ ولكن ...

ـ اذهبى عليك اللعنة !!

نظرت لى لحظة ثم إنها جمعت حقيبتها واتجهت للباب فى تؤدة وكبرياء .. وعلى الباب استدارت ونظرت لى نظرة خاوية من المعنى ثم أغلقته وراءها ...

★ ★ ★

فى الصباح التالى على مائدة الإفطار بدأت أشعر بالتحسن كان حملا ثقيلا انزاح عن كاهلى

وهنا سمعت زوجتى تقول وهى تضع الصحيفة أمامى

ـ هل قرأت هذا الخبر ..؟

فوقفت عن المضغ وأنا ألمح صورة (سوزان) فى ركن الخبر العلوى

ولم تكن عيناها مفتوحتين بل مغلقتين وخصلات شعرها الأسود كالمبللة تغطى أكثر وجهها كانت ميتة ميتة جداً !

وبيدين مرتجفتين وعينين زائغتين عرفت أنها وجدت غريقة فى النيل ولكنهم لم يعرفوا من هى فقط

أنا فقط كنت أعرف ...

أنا الذى بادرت بالاتصال بالمستشفى سائلا عنها ، والجواب ـ كما توقعت ـ هو أنها اختفت أمس فى السابعة مساء .

زنزانته أو حجرته ــ كما قالوا ــ كانت محكمة الغلق لكنهم لم يجدوها بالداخل وفتشوا كل مكان دون جدوى

لكنهم لم يعلموا أنها فى أعمق النوم فى تلك اللحظات

* * *

وتبقى أسئلة بلا جواب

هل انتحرت (سوزان) لتستريح من المس الشيطانى الذى أصابها ، والذى لم يعد لدى شك فى وجوده ؟

أم أن (لميس) حاولت أن تستريح بهذا الجسد الذى لا يجيد السباحة فى مغامرة طائشة أخرى من مغامراتها ؟

ومن هى التى جاءتنى بالأمس ؟

هل هى (سوزان) أم (لميس) ؟ ومن هى التى كانت فى المستشفى ؟ وكيف وصل الفصام إلى درجة انقسام الجسد المادى ذاته ؟!

إن رأسى ينفجر ..

بل ــ الأدهى ــ هل هلكت فعلاً أم أنها حاولت إقناعى بذلك ؟

التفسير الوحيد لكل هذا هو المس الشيطانى ــ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ــ الذى أصاب تلك الفتاة ، وبالتالى خرج الأمر من دائرة المنطق والماديات إلى آفاق ما وراء الطبيعة

ولا داعى للقول إن الكابوس سيعيش حيًا هينًا ما حييت

وإنى ــ حتى اليوم ــ أترك الكاميرا من حين لآخر كى تلتقط صورًا تلقائية بالأشعة عند خروجها ، فقط لأتأكد من أنها لم تعد

* * *

لقد ظننت قبلئذ أن شفاء المريض من جرثومة الدرن لا يكون لا يقتله ، ربما كان هذا صحيحًا وربما كان جنونًا لكنى لا أتوهمها كثيرًا لقد كانت مريضة وطلبت العلاج لكن الطبيب لم يدر كيف يتصرف

نسيت أن أقول لكم شيئًا أخيرًا

إن الصور التى التقطتها بها قد مرت بنوع غريب من التحلل العضوى فلم يعد لها أثر

لقد رحلت الزائرة بعيدًا حاملة كل ما قد يذكرنا بها

* * *



أنا و (الطن) ؟

تحكيها (هويدا)

- ١ -

الساعة تدنو من الرابعة صباحا ...

لقد انتهت بالفعل أية فكرة للعودة إلى ديارنا (هذه الليلة ،

لا أدري متى ولا كيف انتهت تلك [illegible] أدرك حقيقة أنه

(غدا) !

قال (شكري) في عصبية قاذفا بعلبة سجائره إلى الأرض ثم تذكر أنه ليس في داره فالتقطه ودفنه في المطفأة)

- أين أنت [illegible] !

أنت وأنا [illegible]

- وأنا أحبها !

- [illegible] وضع النقط فوق الحروف [illegible] من فعل ماذا ولأي غرض ؟

هذه هي [illegible] القصة [illegible] في وضع للمراقب اليقظ [illegible] هذا [illegible] الذي يصورها من الحياة ؟!

قال د. (سامي) في [illegible]

- أنت [illegible] (شكري) على اعتبار قصص موجهة ولكن هذا هو ما حدث بالضبط يمكنك أن تحبه أو لا تحبه لكنه حدث !

وكما قال د. (رفعت) لا يمكنك أن تتهم الثورة الفرنسية مثلا أنها ركيكة !

هرش (شكرى) لحيته فى ضيق .. وغمغم :

ـ كنت أصبو إلى اتضاح الأمور ..

وهنا سبحت الغرفة فى الضوء الأبيض الخاطف لجزء من الثانية .. وثبنا كالملسوعين من مقاعدنا ونحن بعد لم نعرف مصدره .. لكن د . (سامى) رفع كفه فى تؤدة وهتف :

ـ إنه ميعاد التصوير الجديد ! .. هل سمعتم ؟ لقد أعددت مفاجأة صغيرة لاختبار أعصابكم بعد قصتى !

وهنا برزت مدام (ثريا) من خلف الستار حاملة الكاميرا وفوقها الفلاش .. وكانت تضحك فى تشف حقيقى .

ـ يا لها من فكرة !

ـ إن كان المطلوب هو الرعب فى حد ذاته .. فلا تشكروا أنس ... وفقت إلى حد كبير ! .. لقد وثبتم من مقاعدكم ككرات المطاط ...

قالت (هويدا) وهى تتنهد وتسترخى فى جلستها :

ـ لقد صارت أعصابى كالزنبرك المشدود .. وسأنفجر صارخة فى وجه أى شخص فى أية لحظة !

نظرت لها .. وابتسمت :

ـ لقد جاء دورك فى الإرهاب بعد الارتعاب ..

نظرت للسقف فى حيرة وخجل .. ثم غمغمت :

ـ دورى أنا ؟

ـ طبعا ..

ـ قصة مرعبة ؟

ـ نعم .. ولكن لا تحكى قصة المرآة لأن (سهام) حكتها .. ولا تحكى قصة الفرعون (لخيروم) لأنى حكيتها للتو .

قالت وهى تحملق فى السجادة معابثة نقوشها بطرف حذائها :

ـ إن هذا صعب .. ولكن .. مهلا .. عندى قصة أعتقد أنها ستشد انتباهكم إلى حد ما .. أنت تعرفين (ميمى) صديقتى يا (سهام) وتعرفين مشاكلها بعد سفر زوجها (نبيل) للخارج تاركا إياها وحيدة مع (مشمش) .. ابن (ميمى)

قاطعتها فى عصبية :

ـ (هويدا) .. هل يضايقك كثير ذكر الأسماء الكاملة بدلا من أسماء الدلع المستفزة هذه ؟ .. سيكون صعب على أن أتذكر من هو (نبيل) و (مشمش) و (ميمى) ..

نظرت لى فى ضيق .. وهزت رأسها مستطلعة :

ـ ليكن .. ولكن لا تقاطعنى ثانية .

* * *

قالت (هويدا) :

ـ إنى أمقت الأطفال ! .. أعرف أنه من العار أن تعترف امرأة بذلك .. لكنكم لستم غرباء .. نعم إنى أمقت الأطفال خاصة حين يصلون إلى السن الكريهة التى يمكنهم فيها جذب ذيول القطط وكسر المزهريات الثمينة .. السن التى تتلوث فيها أنوفهم بالمخاط وركبهم بالميكروكروم ويصدرون أصواتا سخيفة عند اللعب ! .. يمقتونهم .. ولم أكن متجنية تماما فى ذلك

* * *

(هويدا) لقد توفيت خالتي ؟

[illegible] وانفجرت في البكاء

- [illegible] حبيبتي كلنا سنشرب [illegible]

أنخ [illegible] إلخ

[illegible] عبر سماعة الهاتف لكنها - بالطبع - لم تسمع حرفاً من كلامي

[illegible] دموعها وهتفت عبر السماعة

[illegible] من (كفر الزيات) منذ دقائق وعلي أن أذهب هناك الآن

[illegible] في (الإسكندرية) بعيداً عن عائلتها التي [illegible] (كفر الزيات) وكان زوجها قد سافر للخارج لكنها [illegible] في مسقط رأسها وبلك ظروف العمل ومدرسة (مجدي) ابنها الوحيد ..

وكنت [illegible] بالتأكيد لأن لتستطعت ابنها شيئاً بعد غد ، ولا يمكنها [illegible] ولا يمكنها الا [illegible] من ثم

- أريدك أن تعتني بـ (مجدي) حتى أعود ..

- لا تقلقي

[illegible] لأنني - كما قلت لكم - أمقت الأطفال ، لكن نداء الواجب لا يعرف الميول الشخصية

لهذا أردفت في استسلام

هل ستحضرينه لي أم آتي لأخذه ؟

- لا يا حبيبتي أريدك أن تأتي لتحضر [illegible] معه ..

لأنه - كما قلت لي - لن يستطيع أن يركز [illegible]

- وربما صعبة - مثل بيتي وقد [illegible]

(المعصوص) في السنة الثالثة الابتدائية [illegible]

حتى يصير في الثانوية العامة !!

- ولكني لن أتركه لكي ..

- لن أتأخر يا (هويدا) أقسم لك [illegible]

وعقدت شفتي مشكورة لذلك [illegible] على أنني [illegible]

غدا

- فليكن ..

أن يضيع ساعات لن تعتبر [illegible]

يكون الانصراف مشكلة ..

وهكذا [illegible] لأعمل [illegible] الطفل [illegible]

* * *

ما إن دخلت من الباب حتى ارتمت (هويدا) في أحضاني دامعة العينين [illegible] ، واخذت تنهنه وتمسح على كتف ثوبي الجديد وأنا أردد عبارات من نوع (كلنا سنموت [illegible] البركة فيك) ..

حتى غلبني البكاء فشرعت أبكي معها

ثم إنها أغلقت أزرار ثوبها الأسود وانطلقت [illegible]

وكان طفلها (مجدي) واقف يرمقني [illegible]

(مجدى) الذى طالما وصفته امه بانه يمسك من الذكاء ما يعوق سنه بمراحل وبشهادة كل المربين الذين صادفوه
وحين رأيته عرفت انه هو !
ذلك الطراز المرعج من الاطفال الوقحين المدللين المدمرين الصخابين المتوحشين المخربين القذرين الكذابين الـ ... كل الصفات القاتلة التي يمكنني تعدادها إلى يوم الدين ..!
لقد وقعت في الشرك ولا حول ولا قوة إلا بالله
كانت (مها) مهرولة بفردة حذاء واحدة هى وهناك شريحة من (طفوس) ... وإلى المطبخ فتبعتني وأشارت إلى الموقد
- هناك ... وبطاطس اعددتهما له على عجل ... إذا جاع مساء يمكنك ان تطعمه ... و
وهرعت إلى الثلاجة وهى ... فردة الحذاء الاخرى
- هنا مياه غازية وآيس كريم ... في الثامنة مساء بعد ان يتناول عشاءه ... و
ثم التقطت حقيبتها وهرعت إلى الباب ... وهتفت قبل ان تخرج
- خذى الحذر ... ولا تدعه يشق القطة فهو يحاول ذلك من شهور ...
- يشق ماذا ؟؟؟
- القطة ... ولا تدعه طبعا يأكل الصبار الموجود في الشرفة !
ثم انها عانقتني ، وانفجرت باكية
- آه ... يا خالتى الحبيبة !



وكان طفلها (مجدى) واقفا يرمقني

وتمضي [illegible] لا ارى شيئا من الدموع الا الاخرى

ثم صمت لأبدأ مهمتي المستحيلة

* * *

[illegible] وضعا يده في جيبه ويده الاخرى

[illegible]

[illegible] الى الصف هذا

[illegible] الى غرفته

[illegible] الغطاء وابدأ المذاكرة

[illegible] ما قلت [illegible] وفي برود قال

ـ انت العربية الجديدة ..؟

ـ انا صديقة امك

ـ وستبقين لي ؟

ـ [illegible] وتجبرك على المذاكرة كذلك ..

ـ وكم دفعت لك امي ؟

صعد الدم إلى رأسي .. وصحت به

ـ [illegible] الوقاحة وادخل غرفتك ..!

[illegible] الارتقال [illegible] ثم ضحك اخيرا وألقى

بالغطاء على الأرض وهتف وهو يهز كتفه :

ـ [illegible] يكفي

ـ [illegible] يكفي

[illegible] ارفع ابتسامة رأيتها في حياتي ـ

[illegible]

ـ ألا تخافين من (العاو) ؟

ـ (عاو) ؟!

وقد تذكرت تلك اللفظة السحيقة من ايام طفولتي

(العاو) هو غول عملاق او شيطان [illegible]

ضخم او ـ باختصار ـ هو كل ما يخيف [illegible]

تلخص في براعة صفات الكائنات الشيطانية [illegible]

ـ كما نراها الامهات ـ تتلخص في [illegible]

[illegible] كنت اخاف (العاو) ولكن [illegible]

يا ذكريات الطفولة ويا احزانها

لقد كان (العاو) [illegible] فهو [illegible]

[illegible] او يهمس وسط [illegible]

او يمص اصبعا في النوم ، او يكذب ، او [illegible]

او

كانت النجاة من (العاو) ضربا من المستحيل

لكنني نجوت [illegible] نجوت

واليوم انا شابة ناضجة في الثلا[illegible]

من عمري ولن يستطيع او (عاو) ان [illegible]

الانوثة

ـ الا تخافين من (العاو) ؟

كان السؤال معلقا بعد [illegible] ، وكان ينتظر جوابه

ـ أنا لا اخاف (العاو) لانه لا يهدد سوى امثالك

انفجر يضحك

ضحكة غريبة عصبية لم تكن متوقعة من طفل .. وسمعته يهتف :
- إلى .. هل يضايقك ان تعرفى ان (العدو) هو انت ؟
- حقًا ؟.. سيهمى على
- تظنين انتى امزح
- اسمع ايها القرد الصغير .. لن اسمع كلمة اخرى .. هيا !
يبتسم فى ثقة
ثم اتجه إلى حجرته متبخترا بشكل مبتذل
سيكون من الصعب على الا اقتله فى الساعات التالية !

★ ★ ★

امضيت ساعة كاملة استمع للراديو واتصفح المجلات النسائية التى وجدتها على الاريكة .. كانت (مها) قد تحرجت بعض (الباتروبات) واعدت مقعب وعشاء حين جاءه النبا المشؤوم كما هو واضح
وهنا شعرت بتأنيب ضمير
لماذا جئت من دارى اذن ما دمت ساكتفى بسجن هذا الطفل ؟
واية رعاية اقدمها له بجلوسى هنا ؟
نهضت فى تثاقل إلى غرفته وفتحت الباب
- (مشمش) .. هل تبغى شيئا ؟
وتلفت إلى الحجرة فلم اجده
كانت الغرفة خاوية تماما .. غرفة طفل انيقة ومهندمة لكن الحوائط كانت مزدانة بصور شيطانية لوحوش ومصاصى دماء الخ .. صور تم قصها من المجلات والصاقها على الحائط

ويا له من مزاح لطفل فى التاسعة من العمر !
كانت الستائر تتطاير عبر باب الشرفة المفتوح الى داخل الحجرة .. وكانت رائحة الليل العطرة تملأ هواءها .. الليل الوحيد الـكل
جريت إلى الشرفة لابحث عنه فلم اجده
طار صوابى رعبا وانحنيت على سور الشرفة باحثة عن جثة صبى فى التاسعة من عمره مهشمة على الاسفلت فلم اجد واحدة .. و كرتفه !
نظرت للخلف فادركت ان باب الشرفة قد اغلق دونى
لقد قصها الشيطان ! ولابد انه اختبأ تحت الفراش بعد ما فتح باب الشرفة ليوهمنى بخروله منها .. وما ان دخلت حتى فعلها !
والآن انا فى مأزق ! لن يفتح لى وسيخرب فى البيت كما يشاء حتى تعود (مها) .. يمكننى ان اصرخ واقرع الباب مرارا لكن كل مجهود بالفشل فهو يعرف ما سيحدث له لو فتح الباب
ماذا افعل اذن ؟
ثلث ربع ساعة ارمق الشمس من الشرفة عاصرة ذهنى بحثا عن حل ملائم فلم اجد ..
ثم تبين نظرت إلى الباب من فوق كتفى فرأيت الباب مفتوحا !
اذن لقد عاد وفتحه لى بعد ان ارعبنى قليلا
اذن هناك - برغم كل شىء - بعض الآدمية فى هذا الطفل
لن يكون عقابه اسطوريا كما ازمعت
وفى تؤدة دخلت الحجرة
كان جالسا على مكتبه منهمكا فى الدراسة

في يده قلم رصاص وأمامه كتاب مفتوح به بعض مسائل الكسور . وحين رآني ابتسم في رقة وهتف

- أنت في الشرفة يا طنط هويدا ؟

صعد الدم إلى رأسي وصحت مقلدة لهجته

- يا سلام ! في الشرفة يا طنط (هويدا) يا للأدب والرقة !

ومن نقطة حبيسة بالداخل بين القرد الصغير ..

بدت عليه دهشة حقيقية

- هل كنت محبوسة ؟ لماذا لم تناديني ؟

شعرت بأنني سأصاب بجلطة مخية من الغيظ فاكتفيت بأن اقتربت منه واعتصرت أذنه في غل

- اسمع يا فتى ! لو حدث هذا ثانية فلن تجد منك بقية تدفن

قال متأوها وهو يضغط على مسألته

- أنت ... شرسة الطباع !

بعد ثوان بدأ غضبي يتلاشى فاختلست نظرة إلى كتابه وأطلقت سراح أذنه . إنه لا يجيد الحساب أيضا الطفل الذي يعتقد أن ثمانية في تسعة تساوي أربعين هو طفل في مأزق دراسي

- ألا تعرف جدول الضرب ؟

رفع رأسه نحوي ممسكا بأذنه اليسرى المحمرة كالدم وفي تؤدة غمغم

- كلنا لا نعرف جدول الضرب !

- ومن أنتم ؟

- نحن مصاصو الدماء !

ثم ضحك ضحكته العربية الساخرة ..

★ ★ ★

بعد نصف ساعة ذهبت لغرفته ، ووقفت على الباب سائلة

- هل تريد أن تأكل الآن ؟

رفع رأسه نحوي وهرش في رأسه

- ماذا آكل ؟

- أرزا وبطاطس

باشمئزاز مط شفته السفلى وتثاءب

- لا أريد ..

- لأنه لن تتعشى

- وستأكل بالطبع (أرزا وبطاطس مادمت أنت موجودة ؟

★ ★ ★

بعد قليل خرج للصالة حيث كنت جالسة وشرع يدور حولي كأنما يريد شيئا فسألته وأنا أتصفح المجلة دون أن أرفع عيني

- جعت ؟

- نعم .. ولكن ليس للبطاطس !

ووقف أمامي يتمتم ببعض الوقت فتظاهرت أنني لا أعبأ حتى بسؤاله عما يريد ... هذا الطفل قد بدأ يثير أعصابي إلى حد غير معقول لكنني لن أدعه يشعر بذلك . قال وهو مستمر في تململ

- إن نعمى أكثر أناقة وجمالا منك !
- شكرا .. أعرف ذلك
- ولكنها أصغر ..
- لم أطالبك بالزواج مني .
ثم إنني تمالكت أعصابي ، ونظرت له في برود
- هل ستأكل أم لا ..؟
- هل يمكنني شرب بعض المياه الغازية ؟
- لا بأس .. ولكن القليل منها جدا

جرى إلى المطبخ وسمعت صوت فتح الثلاجة ، ثم صوت صب سائل فوار .. وبعد ثوان جاءني حاملا كوبا به قليل من السائل الأسود الرغوي وقدمه لي ، وفي رقة وكياسة طلب مني أن أشربه كعربون صداقة لأنه يشعر أنني لم أرتح له كثيرا

بدأت الشرب في شك متوقعة شركا آخر لكن المشروب كان عاديا ممتعا وشعرت أن حلقي يذوب تدريجيا .. أما هو فجلس على الأرض عند قدمي يداعب القط الجاثم في عظمة .. دقائق ثم قال لي دون أن ينظر نحوي .
- كانت عندنا مربية قبلك
- قلت لك إنني صديقة (ماما) ولست مربية
هز رأسه في تؤدة بمعنى أن هذا ليس خطأ جوهريا .. واستطرد
- كانت سيدة طيبة .. لكنها مرضت مرضا شديدا
- إن مربيتك لابد أن تصاب بالسرطان والسكر وارتفاع ضغط الدم

- كان لونها يبهت .. ويبهت .. كل يوم .. حتى صارت صفراء كالبرتقالة .. ، وخف وزنها وظهرت عظامها
- وهل جاء لها الطبيب ؟
- نعم .. نعم .. وقال إنها مصابة بالـ .. بالأنيميا
- تعني .. الأنيميا ؟
- ربما كان ذلك .. ولم يعرف أحد السبب ، ثم تركتنا .. وتقول (ماما) إنها ماتت في المستشفى
تنهدت في صبر .. وهمست وقد تذكرت ما حكته لي أمه ، عن هذه القصة الأليمة
- رحم الله الجميع ..
- لكنهم لم يعرفوا أن سر حقيقة هامة .. هذه المرأة كانت تنام جواري في الفراش كل ليلة .. وهذا هو خطأ الكبار .. إنهم لا يصدقون الصغار أبدا مهما حدث .. ولطالما أنذرتهم
لم أفهم ما يعنيه فنظرت له متسائلة
ازدادت بسمته الوقحة اتساعا .. ثم قال من بين أسنانه
- ألم تفهمي بعد المأزق الذي أنت فيه ؟
واتسع ثغره أكثر وأكثر .. وأردف
- وحيدة مع (الغول) في شقة موصدة بالمفتاح ''

* * *

- موصدة ؟ ماذا تعني بموصدة ؟

- لقد أغلقتها بالمفتاح من الداخل !

قالها في فخر وهو يثب للخلف مبتعدا عن متناولي ... في حين صحت في ذهول

- ولكن .. لماذا ؟.. وأين المفتاح ؟

- أخفيته !

نهضت نحوه في شراسة عازمة أن أرتكب أولى جرائم القتل في حياتي ..

لابد أن السفاحين جميعا يبدءون هكذا ... لكنه تملص من يدي وشرع يقهقه ويصفق

- لن أخبرك مهما فعلت بي !

ثم إنه جرى للمطبخ فهرعت خلفه لأرى ما سيفعل

كان عائدا من هناك حاملا علبة دواء صغيرة يبدو أنه فرغه ، وما إن رآني حتى وثب جانبا رافعا العلبة في يده ... وعلى الغلاف قرأت كلمة (ميبروبامات) ... وهذه الكلمة مألوفة لي لأنها الدواء المنوم الذي كنت أعالج به بعد الانهيار العصبي الذي تلا انفصالي عن (ها) أعني بعد أرق مستمر عانيت منه

ولكن ما معنى هذا ؟

- معناه يا طانط (هويدا) أنك شربت عشرة من هذه الأقراص في كوب المياه الغازية !!

- أيها الشيطان الصغير ! ... ولكن لماذا ؟

صاح في براءة كأنما أمست طفولته !

- وكيف سأمتص دمك - أنا (الغول) - ما لم تنامي ؟

إن هذا الطفل مجنون أو ممسوس ... ليست هذه تصرفات أطفال أبدا ... هل حقا شربت هذه السموم ؟ إذن سيكون أمامي ربع ساعة قبل أن أسقط في غيبوبة عميقة لأن هذه الجرعة سامة بالتأكيد والواقع أنني بدأت أشعر ببرودة في ساقي ودوار في رأسي وثقل في جفني

- (مجدي) !.. هات المفتاح فورا !

- مستحيل !

صحت في هستيريا .

- ولكن لماذا تفعل ذلك ؟

- لأنني (الغول) !

ثم أردف وهو يتواثب حولي كالضفدع

- هل سمعت عن (الثاليدوميد) ؟

تصلب جسدي إذ سمعت هذه الكلمة

لم أتصور قط أن يعرف طفل في التاسعة من عمره معناها أو نطقها

ولقد عادت لي ذكرى ذلك العقار المشئوم الذي أنتجته إحدى شركات الأدوية في أوائل الستينات كمسكن للحوامل ، وكانت نتيجته

كارثة .. لقد ولد جيل كامل من الأطفال بلا أطراف وكانت مصيبة في العالم وأفلست الشركة وتم وقف إنتاج العقار (*)

ولكن ما دخل هذا العقار فيما يحدث ؟.

قال مطمئناً وهو يلهث من جراء مراوغتي

- أنا من أطفال (الثاليدوميد) .. أحضره أبي من الخارج لوالدتي .. وجئت أنا لتكون بكامل أطرافي .. إلا أن العقار كان له أثر غير متوقع في وظائفي الحيوية .. ولم يشعر (بابا) أو (ماما) بالفارق لأنني أجدت إخفاءه !

ثم اقترب مني خطوة والتمعت عيناه

- لا أستطيع الحياة دون دم ! ومشكلتي هي العثور عليه .. في البدء كانت العربيات وأصدقائي في المدرسة لكنها كانت كميات محدودة . أما اليوم فقد سنحت لي الفرصة كاملة لإرواء ظمئي **

تراجعت للوراء على الرغم مني بضع خطوات .. وصحت

- كف عن هذائك !!

ابتسم في ثقة .. وسألني :

- بصراحة .. هل رأيت طفلاً في سني يتحدث ويتصرف مثلي ؟

- بصراحة .. لا !

- إذن صدقني ما أقول .. وعلى كل حال سيتضح الأمر بعد دقائق !

* * *

(*) حقيقة .. وقد عاد هذا العقار للظهور في بعض الدول النامية برغم أنف منظمة الصحة العالمية ..

وثبت إلى الوراء صائحة في هستيريا

- سأصرخ ! وساعتها ستشرح قصتك للجيران !

طقطق بشفتيه في أسى .. وهمس

- وإذا كانت هذه دعابة سخيفة من طفل .. هل فكرت كيف ستفسرين موقفك ؟!

- إني سأوسعك ضرباً حتى أهشم عظامك .. ولن يمكنك إيقافي حتى لو فقدت الوعي

عاود الضحك في ثقة .. ومن فمه خرجت الكلمات هامسة

- تلك المشكلة .. كيف تفسرين للجيران ولأمي وللشرطة قيامك بتهشيم عظام طفل بريء ؟ .. أمانة طلب منك رعايته .. إن القصة لن تنتهي من هذا العالم أبداً !

نفس الشعور الذي ينتابني حين ألعب الشطرنج مع (رفعت) وهو من هو في إجادة اللعب .. كل الخانات مغلقة وكل نقلة بها خطر ما لجسمي .. واتخاذ القرار مشكلة .

ولكن لابد من حل ..

- إني سأقيدك بالحبال حتى تصل أمك !

- عندئذ سأصرخ أن ساعدني يا جيران كي يروا ما تخفيه أنت من شر خلف مظهرك الرقيق !

والتمعت أسنانه البيضاء المسوسة .. وأردف

- ألم تفهمي بعد المأزق الذي أنت فيه ؟

إن وعيي يتخلى عني

يجب ان أكبل هذا السفاح او اقتله قبل ان انام
من الممكن ان أقتحم الغرفة واصرخ كي ينقذني احدهم
لكن الاحتمال ما زال قائما في ان تكون هذه لعبة اطفال سمجة
وبكم اسفت ان ارى نفسي ـ انا النجوى البائسة ـ احدث فضيحة في الحي كله من اجل لعبة اطفال . دعكم طبعا من نظرة (مها) التي صديقتها الهستيرية التي لم تتحمل رعبه طفلها ساعتين !

عليك اللعنة يا (مها) انت وطفلك الكريه !
اية تربية تلك التي تجعل سفاحا كهذا ؟؟
وفي ثلاثه ـ كان زعيم (مافيا) بأن من خصومه ـ تلف لحجرته مرتدا

ـ سانتظرك قليلا حتى تستعدي !؟
ـ للوغد !.
وحدي وقفت في الصالة ارتجف
لا جدال هنالك ! إن وعيي يتسرب . وقدمي تتحولان الى هلام . وراسي ثرى ظلمتي
يجب ان أتصرف
لن اصرخ . لكني سآخذ بالحل الاحوط
سأقيده وليكن ما يكون . وحين تعود (مها) سأخبرها بكل شيء . ولسوف تصدقني . نعم . لابد أنها تعرف دعاباته وتتوقعها
وجدت بكرة من (قطن) المنشر فحملتها في يدي وتحاملت على نفسي ناحية الغرفة . ستكون معركة قصيرة لكنها ضرورية

عندئذ رأيت .
رأيت هذا الشيء واقفا في وسط الغرفة مديرا ظهره لي
وحين سمع خطواتي استدار للوراء . تحرك
كان يمسك بجثة القط الابيض وقد تلوث فمها بالدم . اما عيناه فكانتا حمراوين تماما . وكان الدم يسيل على فمه ويلوث ذقنه
وفي تؤدة ألقى الجثة أرضا وهمس لاهثا :
ـ لقد طال الانتظار .. طال .
ثم اتجه نحوي وهو يهمس
ـ والآن فلينته كل هذا ! لقد استنفد (العاو) صبره
الضباب يزداد كثافة . الصمت يغزو اذني . لم تعد لي قدمان
فقط اذكر انني سقطت على الارض وهو يجثم بجسده الصغير فوقي . مجرد طفل لكني ادركت انه لم يكن سوى الشيطان ذاته
هل كنت اصرخ ؟ لا اذكر . فقط اذكر وجهه الشرس وعينيه و
وشعرت بيد (مها) تنهضني من على الارض وتهتف
ـ ارى انك و (مشمش) صرتما صديقين ! لكنك تصيحين ولكنه بهذا اللعب يا (هويدا) . لماذا اقفلتما الباب بالمفتاح ؟ وانت يا (مشمش) الم أقل لك ان تكف عن قلب جفني عينيك ؟ يا لها من عادة سيئة ! ولماذا لوثت دمية القط بالحبر الاحمر ولماذا لوثت وجهك به ؟؟ تب ! إن هؤلاء الشياطين الصغار سيودون بنا للجنون ؟؟

نهضت مصممة بكآبة ، وسألتها

ـ أهي الأقراص الـ (ميكروبحيث) ؟

فهتفت في لا مبالاة

ـ أنت تعرفين .. هذه العلب تصلح تمامًا لحفظ المهارات بعد أن تفرغ .. ولكن لماذا تسألين ؟ (مشمش) ؟ .. ألم أقل لك مرارًا ألا تحبسي القطة في الدولاب .. حرام ؟ أحيانًا أحس أنك أنجبت شيطانًا ؟ .. على أية حال أرجو أن تستمتعا معًا بـ (هوية خاصة ولست ذاهبة إلى خالتي غدًا وسيكون عليك أن تكوني خدامتك اليوم

والتمعت عيناها .. وهي هستيريا ولوث

ـ آه .. يا خالتي الحبيبة !!

* * *



كان تمسك جثة القط الأبيض وقد تلوث عنقه بالدم

القصة السادسة

حكاية ليلة واحدة..

يحكيها الأستاذ (شكري).

ضحكنا حتى أدمعت عيوننا بعد أن أنهت (هويدا) قصتها.. وقال د. (سامي) وقد استعاد جديته تماماً:

- يا له من طفل! وإنني لأتساءل عن السفاح الذي سيكونه حين يكبر.. إنه شخصية (سايكوباتية)(*) بكل ما في الكلمة من معنى.. وإن تكيفه مع أخلاقيات المجتمع صعب بعد .. جدير بالدراسة.

ثم أردف وقد استعاد طبيعة المدرس:

- إن أقسام العقل الباطن هي (الهي) و(الأنا) و(الأنا العليا).

ويمثل القسمين الآخرين ما نسميه الضمير.. والطفل عبارة عن (هي) خام بلا شوائب.. مجرد غرائز تتحرك بلا أدنى وازع من ضمير.. لهذا يتمتع الأطفال بالأنانية والشراهة وانعدام أي.. إلى أن يعلمهم المجتمع كيف يكبحون غرائزهم.. وتنمو (الأنا) في عقولهم.

قال (شكري) في كياسة:

- لا أفهم كل كلماتك.. لكني أعتقد أن هذه القصة جيدة جداً وبها ذلك الرعب المتوتر اللطيف الذي أصبو إليه.. هل لدى أحدكم اعتراض على أن أحكي قصتي الليلة؟

- لم نسمع قصتك بعد.

نظر (شكري) لساعته فوجد أنها الرابعة والربع فجراً.. فهز رأسه في حيرة.. وتساءل:

(*) سايكوباتية: شخصية شريرة مريضة في تكيفها مع المجتمع.

ـ إنه الفجر . لن يتسع الوقت
ـ إنه الجمعة فلا داعي للاستعجال
جلس (شكرى) على أريكة وسعة وبدأ يسرد قصته

* * *

قال (شكرى)
المستغيث من الرمضاء بالنار '
هذا هو كابوس عمري . الكابوس الذي نعرفه جميعا ـ
يكون رجل الشرطة الذي ستستجد به من القتلة هو القاتل ' . أن يكون
البيت الوحيد الذي يحتمي به (حسن) من الذئب هو بيت الذئب
إن هذا الرعب لا يوصف
لكنه كامن في شخصيتي منذ كنت شاب

* * *

الملجأ .. الملجأ ..!..
العواصف تزأر من حولي وتلتهم أطراف معطفي
في حين تنبح الكلاب في ثورتها التلقائية
والخيال ' ' الحس الخيال ' حين يكشر عن أنيابه في عمر
مريض مثل عقلي ..
على يسره بالتأكيد أن يرسم لي عشرات الخيالات المريعة
والأطياف المرعبة
عبر الحقول المظلمة أمشي ..
انظر للوراء فأرى ظلامًا
أرنو للأمام فأجد ظلامًا
انظر لقدمي فأبصر ظلاما

كلما رفعت عيني لأعلى خيل لي أنني سمكة ستسقط في (وعاء
الدب الأكبر) الذي ترسمه النجوم في السماء إذ تلمع خلف أستار
الغمام
نجوم بكر ترسل ضوءًا أوليًا ولكنه ضوء وليد لم يتلوث بعد .
تلك الضوء الذي سقط على وحوش ما قبل التاريخ وعلى
(يوليوس قيصر) وعلى جند (عمرو بن العاص وعلى
(بيبهوش) ..
هو بعينه تلك الضوء الخافت البكر
حفيف النباتات تحتج على سحقها تحت قدمي
بركة ماء ضحلة أخوضها هنا أو هناك
الريح الريح قبل وبعد كل شيء
إنني في حال سيئة .
ويجب أن أجد ملجأ ما في مكان ما

* * *

لا تسألوني كيف وصلت هناك
ربما هو خلل في محرك سيارة . وربما هو قطار تعطلت محركاته
توقف في الظلام كوحش مريض هد جسده . وربما هو كابوس
لا يهم ..
المهم أنني كنت هناك ..
وأنني يجب أن أصل إلى مكان ما
حيث يعيش الآخرون ..

يجب أن أجد نارا .. وأشم شيها .. وسمع كلمات أبيه وإلا جئت
إن الخوف يتشكل من هوس
أرى وجهه وعينيه وذراعيه مبتورتي الأصابع تمتدان نحوى
أشم رائحته العطنة الملوثة بالعرق
وأسمع أنفاسه المذعورة اللاهثة ..
وأحس برجفه العنيف في اتجاهي
ملجأ .. ملجأ

* * *

ثم رأيت النار
دائرة اللهب الحى الدافئ تحيط بالمكان
وما دام هناك لهب فهناك بشر .. لقد قالوا قديما : لا يوجد
دخان دون نار .. وأقول أنا : لا توجد نار دون بشر
أصابتني العدوى فتسرب دفء النار إلى قلبي
وهرعت متلاحق الأنفاس إلى هناك
وعلى الضوء الذهبي المتراقص كانت هناك نار يعلوها إناء لصنع
الشاي مرتكزا فوق ثلاثة أحجار - أو كما يقول العرب (أثافي) -
وكانت هناك بندقية عتيقة على الأرض حفرت عليها أرقام بدهان
أبيض مما دلني على أنها بندقية خفير
وعلى بعد أمتار كان ذلك العجوز جالسا متدثرا في معطف أصفر
من مخلفات الحرب .. وكان يرشف كوبا من الشاي الأسود

كان وجهه - كالنجوم خلف الغمام - متسربلا بالظلال التي ألقاها
التوهج على ما حوله
لكن صورت شاربه الأبيض الكث وعمته غير الحليقة
اقتربت في تؤدة حتى بلغت موضعه .. وكان قد اصطنع لنفسه
سقيفة صغيرة من أعواد الجريد تؤدي غرض حمايته من العواصف ،
على الأقل بالنسبة للعواصف القادمة من خلفه
- سلام عليكم يا (حاج)
قلتها في كياسة وأنا أقترب منه
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. اقترب يا بني
كان صوته محشرجا غليظا ..
ولما دنوت منه .. كان وجهه الآن واضحا بعيني .. أرى الحاجبين
الكثين الأشيبين والعينين الرماديتين اللتين أفسدت الشمس والغبار
بياضهما منذ دهر حتى صار رماديا هو الآخر .. وكانت سحابة
بيضاء تغطي إحدى الحدقتين
أما لحيته النافرة من تحت شاربه الكث فقالت لي إنه يفرط في
تدخين (المعسل)
وكان يرتدي (بول أوفر) قديما رثا تبرز شعيرات بيضاء من تحت
ياقته العالية كأنها شعيرات من عنق ضبع عجوز
- تشرب شايا ؟
قالها دون أن ينتظر ردي .. وفي يدي وجدت كوبا من الشاي
الأسود تتسرب سخونته المحببة إلى كفي

ام من صوت الرشفة الهانئة تبعث الحياة فى اعصابى الواهنة ؟
قال وهو يتاملنى فى اهتمام :
ـ غريب ؟
ـ هذا واضح .. انت تعرف القرية كلها طبعا
ـ بل انا لا اعرف احدا فى القرية !
معلومة غريبة دكتني صورتها لنفسى بعد ان قادنى حديثا الى هذه
المعطلة او شىء من هذا القبيل ..
ارتشف وهو يحسو الشاى
ـ انت تنفسي ان من يمشى هنا ليلا هو ولابد غريب
ولم يقل اكثر .. بل مد انامله فى النار ـ دون ادنى خوف ـ
والتقط بعض قطع مشتعلة من الفحم . ثم استدار للوراء والتقط شيئا
ما عرفت انه (جوزة) صغيرة .. وبدا يعبىء المعسل بانامله ، ثم
رص الفحم فوقه وبدا يمتص الدخان الابيض ويطلقه من منخريه فى
حركة كقاطرة عجوز وحيدة
ـ هل لك فيها ؟
سالنى وهو يقرب عصب الغاب منى فهززت كتفى شاكرا ان لا
بعد دقائق من الصمت الذى له رائحة التبغ . عاد يتكلم
ـ انهم يخشون (شاكر بك)
فى حيرة سالته
ـ هل هو .. قاطع طريق مثلا ؟!

انفجر يضحك .. يضحك .. يضحك .. وصدره العجوز يهتز
بالسعال كانه صندوق خشبى ملىء بالبلى
يضحك ويسعل .. ويسعل ويضحك
ثم يبصق بعيدا .. وقال :
ـ لا (شاكر بك) لا يوصف بكلمات .. لكنه موجود
ويتحرك .. وكلهم راوه ولزموا بيوتهم لانهم يعرفون ما سيحدث فى
المرة القادمة
ـ اعنى .. هل هو شرير ؟
قال وهو يتاملنى فى هدوء
ـ ليس شريرا .. المصيبة انه ليس شريرا .. بل هو الى الحرب
اقرب .. لكنه معنوى .. وكل من رآه لم يعش يوما اخر
تحطمت هولبتى العنيدة لتصبح للرعب .. ودنوت منه اكثر
ـ هلا حكيت لى قصته ..؟
ـ مستحيل جدا .. هل تفهم معنى هذا ؟
ـ ان الخوف .. يهمنى
ـ انى ساحكى لك كل شىء

* * *

ساحاول هنا ان احكى القصة التى حكاها لى العجوز باسلوبى انا
لانه ـ بالطبع ـ لم يكن يملك اية حاسة ادبية
لقد وقعت القصة فى ثلاثينات هذا القرن
وبرغم اننى ساحكى القصة بشكل و (تكنيك) اكثر رقيا فان مصر

خاص لا يتكرر كان يملأ صوت العجوز المبهك وقرقرة (الجوزة)
وقرقعة النيران والضوء الخافت والعاصفة

إن هذا السحر لا تقدر على نقله سوى السينما ، ولا يقدر اديب
على تصويره ولا رسام على رسمه مهما بلغ من موهبة

مهدا مسحورين سنفكر بنصف سحر القصة بأسلوبي الاعرج
كان (كمال باشا) يملك قصر في تلك المنطقة

وكان طيب القلب الا ان زوجته التركية المتعجرفة كانت تختلف
عنه كثيرا ولم يتهمهم احد يوما بالرأفة او حسن معاملة الفلاحين
لكنهم لم يؤذوا - على الأقل - احدهم قط

وكان مهما ابن يدعى (شاكر) ، ابنهم الوحيد الذي يملك
- بحكم الوراثة الغريبة - كل هذه الضياع والاراضي والبشر

ككل العاطلين بالوراثة كان مستهترا فظا ، وحين كنت تراه وهو
يمتطي صهوة جواده مرتديا قميصه الابيض مفتوح الصدر تتدلى منه
خصلات شعره الاشقر وعضلاته متشبثة بلجام الجواد ، عيناه
الزرقاوان الشريرتان تلمعان في وجهه الوسيم كنت تظن ان هذا
هو الشيطان ذاته قادما ليملأ الارض جورا

وكان السوط في يده يتلوى كالافعى بحثا عن ظهور ليمزقها

اما (الحمراوي) فهو خبير بسيط عليه كساء بطبقة سميكة من
(القشف) يشق فيه الشباب طريقه بين الشروخ ، وفي عينيه
السين اكل الزمن نورهما ترى نظرة قهر رهيبة

كان على النقيض من (شاكر) تماما ولم يكن ثمة مجال لأية
مقارنة اصلا

لكننا سنفهم كل شيء بعد قليل .

* * *

في تلك اليوم كان اطفال (الحمراوي) يلهون قرب القصر حين
لمحوا (شاكر) عائدا على صهوة جواده من سهرة حتى الفجر
امضاها عند المأمور .

وفي براءة اطلق احد الصغار دعابة على (شاكر)
مجرد دعابة طفولية من التي يتبادلها اي شخص مرح
لكن (شاكر) لم يكن متزنا .
كان ثملا تماما كعادته في ساعات الصباح الاولى
لهذا لم يرى الامور كما ينبغي ان يراها

يقول الشهود انهم رأوا النيران - كحقيقة لا مبالغة - تنبعث من
عينيه واحمر وجهه وارتجف شاربه الاشقر الجميل
ثم انه ركل بكعبه بطن الجواد .

فانطلق هذا بين صفوف الاطفال يدوس هذا ويركل ذاك على حين
استخدم (شاكر) سوطه ليزيد من جرعة الإيذاء
مسافة قصيرة لا داعي لها ابدا

لكنها حين انتهت كانت هناك اربعة اجساد صغيرة محطمة تتلوى
في الغبار

وكان (شاكر) يلهث منهكا فوق صهوة جواده وقد بدأ يدرك
- للمرة الاولى - بشاعة هذا الذي فعله



ولم يتدخل أحد لإنقاذ (شاكر)
وحتى هو لم يحاول إنقاذ نفسه

وهرع الفلاحون ليروا ما حدث على صوت ولولة النسوة ، وكان من بينهم والد الأطفال (الحمراوي) الذي احتاج لخمس دقائق كي يفهم ما حدث .

وكان القاتل قد ترجل من على صهوة الفرس ووقف مشوش الفكر لا يدري ما يفعل وكيف يفعله ، إن الأمر لم يكن يحتاج منه سوى الفرار إلى صديقه المصور الذي سيصنع كل خطة لكنه - كما قلنا - كان عاجزًا عن التفكير

في تؤدة اقترب منه (الحمراوي) وعيناه في عينيه

لم تكن هناك نظرة عتاب ولا لوم ولا غضب ولا شيء على الإطلاق فقط نظرة ثابتة لا تتزحزح

وفي رزانة قال

- ما كان يجب أن تفعل ذلك يا سعادة البيه ''

حتى في موقف كهذا لم ينس أن يبجل سيده ' أما (شاكر) فكان يرتجف من الانفعال لكنه لم ينبس ببنت شفة

- ما كان يجب ذلك ..!!

إن الفأس في يده والقاتل أمامه

لقد كان ما حدث متوقعا متوقعا أكثر من اللازم

ولم يتدخل أحد لإنقاذ (شاكر)

وحتى هو لم يحاول إنقاذ نفسه

* * *

أما ما حدث بعد ذلك فلا داعي لذكره
مطاردة الأب المذعور المكلوم في الحقول ، وكلاب المأمور
ورجال الشرطة والجياد الثائرة للصيد
كان مشهدا لا يوصف لما يمكن تسميته (صيد الإنسان)
ثم عادوا به مكبلا بالحبال ووجهه متورم من جراء كعوب البنادق
والركلات ، وتطوع كل من رجال الشرطة بإظهار حماسه لإرضاء
المأمور بالمزيد من العنف ..
وحوكم (الحمراوي) وأعدم فلم تكن أمامه فرصة نجاة
وكانت هذه نهاية القصة .
أم هل أقول بدايتها ..؟

* * *

بعد ذلك بأعوام بدأت القرية تثرثر
حكايات كثيرة عن شبح يجوب الحقول في الظلام
جثة (عبد الودود) المذعورة التي وجدوها ، وجثة (محمد
الحمراوي) التي ارتسمت على وجهها أعتى علامات الهلع
كل هذا ذكر الناس بالحادث خاصة والأخير هو شقيق (الحمراوي)
وبدأت الإشاعات تسري .
لقد كان (شاكر بك) يذكرهم بالشيطان أو - على الأقل تعبير -
بقوة شر كاسحة من دنيا ما وراء الطبيعة
لهذا قالوا إنه عاد في صورة شبح كي ينتقم من القرية
البعض قالوا إنه عاد في نفس صورته القديمة على صهوة جواده
ليطارد الفلاحين البائسين بين الأحراش

والبعض قالوا إنه يتخذ صورا أخرى خادعة كطفل ضل
طريقه أو فتاة حسناء تطلب العون أو عجوز ساهر ينتظر
(ألا تلاحظون شيئا غير عادي هنا ؟!)
المهم أنهم أجمعوا على أنه يجذب الحمقى نحوه
عندئذ تكون نهايتهم
وفي الصباح الباكر يجدون جثة مذعورة في حقل ما

* * *

وهنا يسأل البعض
- كيف تصف الضحية صورة الشبح بعد أن ماتت ؟!
اسألوا عن ذلك (أم فكري) .
فهي - كما تزعم - أفلتت من ثلاث محاولات متلاحقة لقتلها من
قبل الشبح . وهي - بالمناسبة - أرملة (الحمراوي)
ولقد رأت فتاة جميلة وشابا وسيما ، وشيخا طاعن السن
وكلهم طلبوا منها العون أو طلبت هي منهم العون ليلا
وعندئذ
كان ذلك الشخص - أو الشيء - ينتظر حتى تدنو منه ويبدأ في
التحول إلى حقيقته المريعة
لكنها كانت تتوقع الشر دائما .
وكانت أسرع انطلاقا في الفرار وأعلى صوتا في الصراخ
ولهذا ظلت حية حتى اليوم .

* * *

دارت الأيام وجاءت الثورة والتأميم
ورحلت الأسرة إلى (أوروبا) ، وبدأت في القرية قوانين جديدة
وعلاقات طازجة وأمور أخرى لا نعرف شيئا عن هذه القصة
لكن الرهبة ظلت حية في الأذهان
إن الشبح لم يرحل مع عائلته بل استوطن القرية ، وظل يمارس
هواياته القاسية مع الأهالي والغرباء بل وخاصة الغرباء الذين
ترميهم حماقتهم في طريقه ليلا
ولا داعي للقول إن الخروج ليلا صار نوعا من (التابو) المحرم
في هذه القرية يتوارثه الأبناء ولا يدرون سببه فإن كان الخروج
محتما فليكن ذلك في جماعة .
والدرس الأكثر أهمية هو لا تثق في مسافر متعب أو امرأة
تستغيث بك أو طفل ضال أو ـ وهذا المهم ـ غريب ساهر لم تره
في القرية قط

* * *

أنهى الغريب الساهر قصته وجذب أنفاسا متلاحقة من (الجوزة)
وسعل ثلاث مرات ثم نظر لي منتظرا رد فعلي
تبادر سؤال إلى ذهني .. سؤال هام جدًا
ـ قلت إنك لا تعرف أحدا في القرية ؟
ـ بالفعل فأنا من عزبة قريبة
ـ لكنك تعرف الأسطورة ؟
ضحك والمزيد من الدخان يتدحرج من الصندوق الخشبي
ـ بالطبع ! هع هع ! وكيف لا أعرفها وأنا أنا

ثم لم يكمل عبارته ونظر للأفق .. وغمغم
ـ اقترب الفجر ..
ـ تبدو قلقا
قال وهو يضع (الجوزة) جانبا :
ـ كل القصص السابقة حدثت قبيل الفجر
ـ وأنت كيف لم يقابلك (شاكر) هذا بعد ؟
نظر لي في غموض وانعكس اللهب يلمع على أنفه ولم يرد
عضت لسانه وأنا لا أشعر بالارتياح
ـ ما سر كلمتك عن الحزن الذي يشعر به الشبح ؟
نظر لي مرة أخرى .. وغمغم :
ـ هل الشيطان سعيد ؟ لا أحسب ذلك .. بس
أنا أفهم ذلك .
وأفهم كيف يشعر الشبح بالوحدة والذعر والحاجة إلى رفاق
لكنه عاجز عن ذلك ولابد لأن مهمته هي أن يفزع الناس حتى الموت
لكن الوقت ليس ملائما لهذه الأفكار
لأن العجوز ينهض في تثاقل وينظر لي عبر ألسنة اللهب قائلا
ـ لقد حان الوقت !!

* * *

في الصباح وجدت جمهرة من الناس والقش حيث كان الكوخ
الخشبي الذي أمضينا فيه الأمسية ..

اقتربت فسمعت أصواتًا تردد

ـ هو الخفير من عزبة (المحال)

ـ لقد مات !

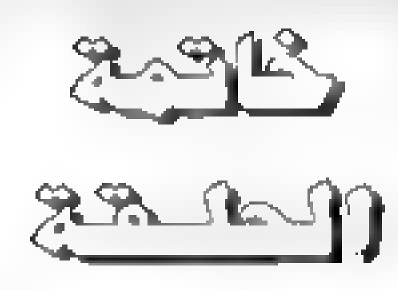
ـ وعلى وجهه علامات الذعر !

وفي مركز الدائرة رأيت العجوز راقدًا على ظهره وقد غطوا وجهه بمعطفه الأصفر المتآكل الذي هو من مخلفات الحرب

عندئذ عرفت أنه لم يبح بحياته طيلة هذه الأعوام إلا لتعيش (شاكر بك) ولتصير قصة أخرى يحكيها الفلاحون في ذعر لأبنائهم ولأبناء أبنائهم

حقًا إن حياة الأشباح قاسية !

* * *



يحكيها : د. (رفعت)

كانت أضواء الفجر الشتوية تتسرب من النافذة وكأنها دماء الليل المسفوح ، حين أنهى (شكرى) قصته

قلت له وأنا أهشم علبة سجائرى الخاوية

- قصة سخيفة يا أستاذ (شكرى) .. فهى تشبه عشرات القصص المشابهة التى تحكى فى كل مكان من العالم .. وليس جديدًا فيها سوى موت الكفيف بعد أن ظنناه هو (شاكر)

قال د. (سامى) مبتسمًا وهو يتثاءب

- هى مجرد تكرار لفكرة (الرعب الموجه فى اتجاه خاطئ) وهى التى سمعناها فى قصة د. (محمد) وقصة (هويدا) وبالتالى هى لا تستحق انتظارنا لها طيلة الأمسية

ابتسم (شكرى) فى غموض .. وقال وهو يعبث فى جيبه :

- أنتم إذن لم تفهموا نهاية القصة !

- أية نهاية ؟ .. تقول إن الكفيف كان الشبح

ضحك .. ونهض متجهًا إلى (هويدا) وهو يغمغم

- نعم .. ولكن متى ؟ ولكن دعونا من هذا .. إن الفجر قد جاء وهو حتمًا لا يناسبنى .. والآن أعتقد أن أفضل قصص الأمسية هى قصة الآنسة (هويدا) ما دامت قصتى لم ترق لكم .. هل لدى أحدكم اعتراض ؟.. لا ؟ حسن .. ها هى ذى هديتك يا صغيرتى فلا تفتحيها إلا وأنت وحدك

وقدم لها علبة صغيرة مغلفة بالورق اللامع

ثم ابتسم لصحب وصاحبة الدار محييًا

- كانت أمسية رائعة وكنتم خير مصغين .. لكنى مضطر للانصراف فورًا وأرجو ألا تكون هذه وقاحة منى

وقبل أن يتكلم أحدنا .. كان (شكرى) قد غادر الفيلا

* * *

ما إن انصرف (شكرى) حتى جلسنا صامتين .. ثمة شعور غامض بأن هناك شيئًا غير مريح فى كل ما حدث وقاله (شكرى) فى ختام الأمسية .

تمطى د. (محمد) فى كسل وابتسم :

- أظن أن الوقت قد حان كى ننصرف

فى لهفة صاحت مدام (ثريا) ، وكأنما أهينت

- إن هذا لن يكون .. ليس قبل الإفطار

- سيدتى .. لا تكتئبى خجلًا أرجوك .. كفاك أنك لم تروِ انطباعك ليلة أمس

أقسم د. (سامى) غلظ الأيمان أنهما استمتعا بكل ثانية وأنهما لن ينسيا هذه الأمسية أبدًا .. بل إنه رجانا أن نكررها

قلت وأنا أتمطى أنا الآخر

- وهكذا .. تنتهى حلقة الرعب الأولى .. وإنى لأتساءل بنفسى عما سيبقى منها بعد أن ننام للظهيرة

- حذار وإلا فاتتك صلاة الجمعة .

- ربما يحصل

وبدانا نحتشد للانصراف بين من خلع الحذاء حذاءه وبين من خلع المعطف ازرار معطفه واصطحبت مدام (ثريا) السيدتين إلى حجرتها لتمشطا شعرهما لدى عدد من النيب بعد الامسية

كان الحر الشديد - حر السهر وبرد الفجر - يعبث كشلالات والكارب ، وكنا نتحرك كاننا نحو البيت مبرمجة هل نفهم هذه الشعور ؟

وبالطبع تكون اقل دعابة كاذبة يجتاحك سفجر ضحك الدعابة التي ستندهش ظهر من مدى سماجتها وسخفها

سألني (عادل) :

- هل خلف سمعة ستظهر بحدلك هذه ؟ مصيبين سطرا اسمك في صفحة الحوادث وصفحة الوفيات معا

- اني سادم عملك حتى ليلى وتسافر بعد صلاة الجمعة

- ليكن ..

نتمشى (هويدا) وكان السهر قد مضى بروسها تماما حتى انسدلها فرع الجلال والتراب الانثوية فتثاءبت - كفرس السهر - واعتصرت ذراعي في قبضتها وقالت

- قل لي ما هو الغريب في خاتمة قصة (شكري) ؟

- لا أدري حقًا .

- ولماذا انصرفت بهذا الاسلوب الدرامي ؟

ابتسمت في استخفاف .

- ربما لان قصته كانت واهية وممجة وهو ادرك ذلك قبل ان مصارحته ولهذا لم يحتمل خيبة الامل

- قال شيئا عن الفجر ...

- هل قال ذلك ؟ لا اذكر

في الخارج كانت الطرقات غارقة في الماء والوحل وكان الهواء نديا مجهولا كانه خلق لتوه وكان ضوء المصابيح الازرق الباهت يرتمي في كسل عبر الطرقات .

تودع (سامي) وزوجته بابتسامة ثم انحشرت في سيارة (عادل) وسيارتي ..

وانطلقت إلى الدار بعد أمسية طويلة طويلة

* * *

كان نوما بلا احلام

نوما اسود مغلقا بالف مفتاح .

كنت فقط افتح عيني من حين لاخر واستعجل لبرهة مرهقا ان الباب بالتاكيد عند قدمي وجهاز الراديو على يساري ثم اجد كل شيء مختلفا فاجفل وانهض وبعد جزء من الثانية ادرك ان هذه الستائر الزرقاء وهذا الدولاب الابيض هي جزء من حجرة نوم الضيوف عند (عادل) من ثم اريح راسي على الوسادة وابتلع ريقي بصوت مسموع وغبت عن الكون

- (رفعت) (رفعت)

هامسة اول الامر ثم بعنف اكثر

وفى النهاية جثم على صدرى ـ كالكابوس ـ وشرع يهزنى كأنما ينفض الروح من جسدى .. ، فهمست فى وهن :

ـ (عاد ..) .. (عادل) .. ص .. ماذا هناك ؟

شعرت بسماعة الهاتف الباردة تندس فى أذنى .. وسمعت (عادل) يهتف فى عصبية :

ـ حدثه !

ـ مـ .. من هو ؟

ـ (شكرى) طبعًا يا أحمق !.. هو على التليفون ..

ـ (عادل) .. أنت سمج .. أنا لم أنل كفايتى بعد .. أرجوك أن ...

ولم أكمل العبارة لأنى غبت عن الكون ثانية ..

عادت الاهتزازات .. وسمعت صوتًا معدنيًا مألوفًا يهتف من السماعة :

ـ صباح الخير يا دكتور ..!.. إنها الحادية عشرة ..؟

ـ و .. و .. كيف صحوت أنت بعد سهرة البارحة ..؟

ـ صحوت لأنى لم أسهر معكم ..!!

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أننى لم أستطع الحضور لأنى مريض بالأنفلونزا .. ولم أستطع الاتصال بكم لأعتذر .. إنها الأمطار ..!

وثبت فى الفراش كالمجنون راميًا الأغطية بعيدًا ..

ـ ماذا تقول ؟!

فأكد لى ما قاله مسبقًا وهو يعطس ..

ـ إذن من كان معنا أمس ؟!

ـ وهل كان هناك أحد معكم أمس ؟

نظرت إلى (عادل) فى حيرة فهز رأسه .. وأشار لى أن أنهى المكالمة ثم أشعل سيجارة امتصها فى قلق ..

وضعت السماعة وأخذت منه سيجارة أخرى .. وهتفت فى حنق :

ـ إن هذا المتحذلق يلهو بنا !! .

ـ هل تظن ذلك ؟

ـ إنه يحاول أن يخلق قصة سابعة !

نفث (عادل) الدخان فى فتور .. وغمغم مضيقًا عينيه :

ـ يبدو صادقًا ..!

ـ ماذا تعنى ؟..

هز كتفيه غير عالم بالرد المناسب ، وقال :

ـ لا أدرى حقًا ..

كنت قد نهضت من الفراش ، وشرعت أبحث عن نظارتى جوار المنبه الموجود على (الكومودينو) .. ، المنامة الشتوية ذات الخطوط الطولية الزرقاء .. وربطة عنقى التى سقطت من فوق الشماعة حيث علقتها فى إهمال ..

ـ ارتد ثيابك واغسل وجهك .. وتعال لنأكل شيئًا ..

وفى الصالة كان ابنه يلعب هنا وهناك فى حين كانت (سهام) بعد غافية ، وكان (عادل) قد أعد لنفسه وللطفل بعض البيض المحترق والخبز المتفحم والشاى الشبيه ببول مرضى السكر ..

جلست متثاقلاً على المائدة ألتهم بعض هذه الأشياء المفزعة ، وأرسم بوجهي تعبيرات سخيفة علّها تضحك الطفل الذي وقف يرمقني في حيرة ورعب فاغر الفم متصلّب الجسد ..

- وجه ابنك يدلني على أنه مصاب بالتحمية يا (عادل) ..!

- مرحى !

ثم إنه قال في فتور وهو يحك ذقنه :

- هل تدري فيما أفكر ؟.. إن الذي كان معنا ليلة أمس لم يكن (شكري) !!

- ماذا تعني ؟.. هل سنعود لهذا ؟

اتسعت عيناه وحملق في وجهي :

- ألم تفهم نهاية قصته ؟

ومضى يتجول في المكان عاقداً يديه خلف ظهره مفكراً بصوت مسموع :

- أنا رجل شرطة ، وحين تحدث جريمة قتل يكون أول سؤال نسأله هو : من آخر من رأى القتيل حياً ؟.. ولقد مات الخفير في قصته .. ومتى ؟.. عند الفجر .. عندما لم يعد هناك جزء باق من الليل كي يقابل الخفير قاتلاً آخر .. هل تفهم هذا ؟.. لقد حكى (شكري) قصته بعد أن حذف منها جزءاً صغيراً ، لكنه لمح لنا بما حدث بدقة ..

ونحن لا ننسى آخر كلماته الغامضة : (نعم .. لكن متى ؟ ، أنتم لم تحسنوا فهم القصة) .. هل فهمت ؟

وهرش مؤخرة رأسه :

- ثم فراره المذعور عند الفجر .. كل هذا يشير بإصبع الاتهام نحوه ، لكننا لم نكن على استعداد كي نفهم ..

قلت في توتر وقد بدأت أفهم :

- يا للهول !.. إذن (شكري) هو ..

- هو (شاكر بك) نفسه .. إن تشابه الاسمين واضح ..

- ولماذا يفضح نفسه ؟

- لأنه يتسلى .. يلهو بنا .. وكان الفزع هو هدفه الوحيد !!

- هذا الافتراض يصعب إثباته ..

ابتسم في ثقة ونظر لي :

- بالعكس .. يمكننا إثبات أن (شكري) الحقيقي كان مريضنا أمس ولم يغادر الفراش .. ، ويمكننا البحث عن القرية التي كان بها إقطاعي اسمه (شاكر كمال) قتله فلاح اسمه (الحمزاوي) ، وعن خفير من عزبة الـ ... الـ ...

- النخال ...

قلتها مصححاً وهن ذاكرته .. ثم أردفت :

- إن هذا مفزع .. إذن فلنبحث وبسرعة ..

- بقيت نقطة نسيناها ..

- وما هي ؟..

- الهدية التي قدمها لـ (هويدا) .. ماذا كان فيها ؟!

* * *

- فيها ساعة جيب ذهبية نقشت على ظهرها عبارة بالفرنسية .. ومعها بطاقة صغيرة ..

قالتها (هويدا) وهي تمد يدها لنا بالعلبة التي أهداها إياها (شكري) أو (شاكر) ..

أمسكتُ بالساعة التي كانت نقوشها وأناقتها خير دليل على ثمنها .. وكانت رائحة العطمة الغابرة تفوح منها ..

قلبتها في تؤدة وتأملت الحروف المنقوشة على ظهرها ، وبلغتي الفرنسية المتوسطة استطعت أن أقرأ العبارة التالية :

صنعت في سويسرا خصيصًا للسيد (شاكر كمال) .

لقد كان هذا الـ (شاكر) ثريًا إلى درجة امتلاك ساعة (عمولة) من (سويسرا) عليها اسمه . والحق يقال أنها كانت تنطق بالترف والفخامة .. حتى أنني شعرت بغبطة لأنها ستكون لي يوم أتزوج (هويدا) !!..

أما البطاقة فكانت مكتوبة بالعربية وبخط أنيق للغاية :

ـ لم يكن الخوف معنا .. لأنه كان أحدنا !!

ظللت أتأمل كل هذا في هيام ..

فصاحت (هويدا) في براءة عذبة :

ـ .. ماذا يضايقك في كل هذا يا (رفعت) ؟!

ـ يضايقني كل هذا .. !

واستطردت في غموض :

ـ لقد كان (شكري) على حق .. إن قصته هي أكثر القصص رعبًا في حلقة الرعب ..!!

* * *

في الأيام التالية احتشدت علامات الاستفهام ..

(عادل) اكتشف أن قصة (شكري) صحيحة ، وأن القرية ـ مسرح الأحداث ـ تقع قرب (الإسكندرية) .. ربما على مسافة أميال محدودة من الفلا التي قضينا فيها أمسيتنا تلك ..

(شكري) أثبت يقينًا أنه لم يكن معنا في تلك الأمسية .. ، وقال إنه كان يرغب في أن يشاركنا حلقة الرعب لأنه ـ كما قال ـ يحب هذه الأشياء كثيرًا ..!

على أنه لم يصدق قط ـ ومن يلومه ؟ ـ قصة شبيهه الذي قضى معنا أمسية كاملة دون أن نشك فيه ، وهو مصرّ على أن الأمر كله دعابة حاولنا إقناعه بها لنسخر منه ..

أما د . (سامي) فاكتشف أمرًا أكثر طرافة ..

هل تذكرون الصورة التي التقطتها زوجته كنوع من اللعب بأعصابنا بعد روايته عن الزائرة ؟..

هذه الصورة كانت تظهر وجوهنا المنبهرة جميعًا في ضوء (الفلاش) لكنها لم تظهر (شكري) بتاتًا ..!..

كان مكانه في الصورة فارغًا ، برغم أنني أذكر جيدًا أنه كان جالسًا إلى يميني يحك لحيته في ضيق ويتمنى لو كانت الأمور أكثر وضوحًا في قصة (لميس) ..

كان في مركز الصورة .. لكنه لم يبد فيها ..

* * *

لقد انتهت حلقة الرعب ..

ولم يعد أمامي سوى أن أجمع أوراقي وأنام ..

تسألونني عن رأيي في كل هذا ..

أقول لكم إنها مجرد انطباعات لا حقائق ..

لا شك أنني سأبدو سخيفًا إذا ما تحدثت عن شبح الثرى المستهتر الذي سمم حياة الأشباح وراح يفتش عن الصحبة ..

وكانت هذه الصحبة هي نحن ..

وكأي شبح يحترم نفسه كان يهوى الرعب ..

هل تذكرون كيف بدأنا نحكي أقاصيص الرعب ؟ ومن كان المحرك الذي دفعنا دفعًا لهذه الأحاديث الرهيبة دون أن يكلّ أو يُرهق ..

وكلما سقط واحد منا فريسة النعاس كان هو يزداد نشاطًا ويحركنا حيث يريد في سلاسة غير عادية ..

لقد كان يلهو ويسلّي نفسه ..

وفي نهاية الأمسية أخبرنا من هو ..

لكننا لم نفهم ..

لم يكن الخوف معنا .. لأنه كان أحدنا !

كان (شكري) هو الخوف البرئ غير المبرر ذاته ، وكان يحيا في كل قصة من القصص ..

كان هو الشيء الغريب الذي شعرت به (سهام) يراقبها من المرآة ، وهو النذير الغامض الذي جعل قط د . (محمد) يجفل ، وهو الذي جعل حشرات (يوسف) تتوحش ، وهو الذي كان يدخل فيلا د . (سامي) كل ليلة .. ، وهو الشيء غير المريح الذي أفزع (هويدا) في عيني الطفل .. ، وهو ذات الشيء الذي كان يفرّ منه بين الحقول :

كان (شكري) موجودًا في كل هذا ..

لأنه هو الخوف الأولي البكر ..

وفي تلك الليلة لم نكن ثمانية ..

بل كنا سبعة ..

وكان الخوف ثامننا ..

* * *

وبعد ...

كانت هذه هي حلقة الرعب الأولى التي ستحيا في ذاكرتنا ما حيينا ..

ولا ريب في أنها ستكون الأخيرة بالنسبة لأكثر من شاركوا فيها ..

لأن الظروف لن تتكرر مرة أخرى ، وهم لن يتركوها تتكرر ..!

أما أنا ...

فالقارئ يعرفني جيدًا ..! ، ويعرف أنه لو كانت هناك حلقة رعب أخرى في أي مكان من الكون فأنا - بلا جدال - عضو فيها ..!

وكيف كان لي أن أعرف أن لقائي مع د . (لوسيفر) قريب .. وأنني سأدخل معه عالمًا آخر من القصص الكابوسية التي لا تنتهي ، وكيف كان لي أن أعرف أنني سأكون طرفًا فيها جميعًا ؟..

ولكنني - كما هي العادة - كنت ساذجًا .. ساذجًا ...

كانت أحداثًا رهيبة .. ولسوف تشاطرني الرأي حين أحكيها لك ..

لكن هذه حلقة أخرى .

* * *

د . رفعت إسماعيل

القاهرة